# القراءات الحداثية للنص القرآني

## عرض ونقد (قراءات حامد أبي زيد وأركون وشحرور نموذجًا)

إعداد
د/ فاطمة البسيوني صيام
مدرس أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

# القراءات الحداثية للنص القرآني عرض ونقد

## (قراءات حامد أبي زيد وأركون وشحرور نموذجًا)

فاطمة البسيوني صيام .
قسم أصول اللغة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ، جامعة الأزهر ، مصر.
البريد الالكتروني: FatmaSiam2245.el@azhar.ed

**ملخص البحث:**

شهدت العقود الأخيرة دعوات تجديدية ترمو إلى إعادة قراءة النص القرآني بصفة خاصة والعقل الإسلامي- وما جاد به من إرث فكري- بصفة عامة وفق مناهج الفلسفة الجدلية المادية والتحليل الأدبي النقدي، تحت مسمى التجديد والحداثة، مما أدى إلى تعدد القراءات للنص الواحد ،هذه القراءات نهضت على مقومات مفادها أن كل فهم يتأثر بخلفيات مفسره، كما تضع التغير المستمر والمتجدد لعملية الفهم وإنتاج الدلالة-بما يتراءى لأفق القارئ وتأويليه الذاتي-أولى خطواتها، مع الأخذ في الاعتبار تاريخية النص وقصره على أسباب نزوله خارج معطيات النص وبعيدا عن مراد قائله، فهي في مجملها قراءات تفسيرية نقدية قامت على استرفاد علوم الغرب ومناهجه التشكيكية النقدية-على اختلافها انطلاقا وغاية مع طبيعة النص القرآني - إلى ساحة تفسير النص القرآني فهما ومقاربة وتحريرا، والبحث هنا يهدف من تلك الدراسة الوقوف على المرتكزات التي عول عليها دعاة القراءة الحداثية، وذلك من خلال النظر في المسالك اللغوية التي عولوا عليها عند قراءتهم للنص القرآني، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اتبع البحث الأدوات الإجرائية للمنهج الوصفي، هذا وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أن القراءة الحداثية تعني صرف اللفظ عن وجهته التشريعية، والخروج به عن معطيات النص وما ينتجه من مضامين دلالية حالية ولغوية، وإخضاعه لعنان القاريء وهواه المتشبع بمعطيات ثقافته، فالقراءات الحداثية التي أنتجها الفكر العلماني قراءة عبثية منحرفة دلالية يمج عنها النظم القرآني أخرجت التأويل من قيمته البيانية إلى وسيلة متذرع بها لزحزحة القداسة عنه، وهدم أصول العقيدة من خلال إفراغ المعاني القرآنية من مضمونها الإيماني وتنزيلها على مصطلحات حادثة

تنبو عنها؛ لذا يوصي البحث بعدم الانسياق وراء هذه الدعوات التبديدية التي تحاول جلب الواقع الغربي بمناهجه النقدية إلى الواقع العربي الإسلامي، والبحث بدلا من ذلك عن قراءة حداثية مبدعة موصولة بالتراث تعتمد روح الحداثة تخرج النص من موقف إهدار دلالة المفردة القرآنية المعجمية والسياقية إلى موقف التفعيل لها، والتأصيل لقراءة حداثية منضبطة تتوافق مع مقاصد التشريع من غير تعذر لمراد الشارع، قراءة تعتمد روح الحداثة تحكمها مرجعية لغوية تراثية منبثقة من مقررات اللسان العربي.

الكلمات المفتاحية: القراءة الحداثية، النص القرآني، الفكر العلماني، الهرمينوطيقا، التحليل. الألسني.

---

# Modern Readings of the Qur'anic Text: Presentation and Criticism (The Readings of Hamid Abu Zayd, Arkoun, and Shahrour as a Model)

Fatima Al-Basyouni Siam.
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Gils in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: FatmaSiam2245.el@azhar.ed

**Abstract:**

Recent decades have witnessed calls for renewal aiming to re-read the Qur'anic text in particular and the Islamic mind - and its intellectual legacy - in general, according to the methods of dialectical materialist philosophy and critical literary analysis, under the name of renewal and modernity, which led to multiple readings of a single text, these readings were based on the principles that every understanding is influenced by the backgrounds of its interpreter, it also places the continuous and renewed change of the process of understanding and producing meaning - as it appears to the horizon of the reader and his own interpretation - as its first steps, taking into consideration the historicity of the text and its limitation to the reasons for its revelation outside the data of the text and far from the intention of its speaker, they are, in their entirety, critical interpretive readings based on the benefit of Western sciences and its critical skeptical methods - despite their differences in starting point and purpose with the nature of the Qur'anic text - to the arena of interpreting the Qur'anic text in terms of understanding and approach. The research here aims to study the foundations that the advocates of modernist reading relied upon, through looking into the linguistic paths that they relied upon when reading the Qur'anic text, and in order to achieve this goal, the research followed the procedural tools of the descriptive method.

One of the most prominent results that the research reached was that modernist reading means diverting the word from its legislative direction and taking it out of the givens of the text and what it produces of current semantic and linguistic contents, and subjecting it to the reins of the reader and his whims saturated with the givens of his culture,the modern readings produced

by secular thought are absurd, deviant, semantic readings that shun the Qur'anic system and have taken interpretation out of its rhetorical value into a means used to remove sanctity from it, and to demolish the foundations of faith by emptying the Qur'anic meanings of their faith-based content and applying them to modern terms that are alien to them; therefore, the research recommends not to be carried away by these wasteful calls that attempt to bring Western reality with its critical methods to the Arab-Islamic reality, and to search instead for a creative modern reading connected to the heritage that relies on the spirit of modernity and takes the text from a position of wasting the meaning of the lexical and contextual Qur'anic word to a position of activating it, and establishing a disciplined, modern reading that aligns with the objectives of legislation without compromising the intent of the Lawgiver. This reading relies on the spirit of modernity and is governed by a traditional linguistic reference stemming from the principles of the Arabic language.

Keywords: Modernist reading, Quranic text, secular thought, hermeneutics, linguistic analysis.

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام التامان الأكملان على أفصح العرب المبعوث رحمة للعالمين، سيد الخلق محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم فساروا على دربهم- غير ضالين ولا مضلين- فكانوا أئمة القول وأعلام البيان ... أما بعد:

فمسألة البحث في تحرير دلالة المفردة القرآنية أثارت قديما وحديثا-جدلا واسعا ؛إذ إن ميدان تفسير ألفاظ الكتاب العزيز من أكثر الميادين المعرفية تأثرا بالعوامل الفكرية والعقدية للمتصدين للتفسير ،فتباين آراء وأقوال هؤلاء المنشغلين بتفسير دلالة المفردة القرآنية واختلافهم في فهم المراد منها يرجع في مجمله إلى تأثرهم بشكل كبير بتياراتهم الفكرية، ومرجعياتهم الثقافية ،وبيئاتهم الاجتماعية تحت مسمى التجديد والحداثة، والدعوة لاستنطاق النص القرآني وإخضاعه لمناهج التحليل الألسني والسيميائي ؛لذا فإن العقيدة الدينية والمرجعية الثقافية التي يؤمن بها المتصدي لتفسير دلالات ألفاظ كتاب الله عز وجل لها أبلغ الأثر في فهم مراده سبحانه فهما صحيحا ،فكثيرا ما تحمل العقيدة المنحرفة والفاسدة أصحابها على تحريف دلالة المفردة القرآنية عن موضعها الصحيح، يشهد لذلك ما ظهر في العقود الأخيرة من دعوات تجديدية- مزعومة- ترمو إلى إعادة قراءة النص القرآني بصفة خاصة والعقل الإسلامي- وما جاد به من إرث فكري- بصفة عامة وفق مناهج الفلسفة الجدلية المادية والتحليل الأدبي النقدي تحت مسمى التجديد والحداثة، مما أدى إلى تعدد القراءات للنص الواحد، هذه القراءات نهضت على مقومات مفادها أن كل فهم يتأثر بخلفيات مفسره، كما تضع التغير المستمر والمتجدد لعملية الفهم وإنتاج الدلالة- بما يتراءى لأفق القاريء وتأويليه الذاتي- أولى خطواتها، مع الأخذ في الاعتبار تاريخية النص وقصره على أسباب نزوله خارج معطيات النص وبعيدا عن مراد قائله، فهي في مجملها قراءات تفسيرية نقدية قامت على استرفاد علوم الغرب ومناهجه التشكيكية النقدية-على اختلافها انطلاقا وغاية مع طبيعة النص القرآني - إلى ساحة النص القرآني فهما ومقاربة وتحريرا، **ومن هنا تكمن أهمية الموضوع في:** خطورة هذه الدعوات التجديدية إذا ما انحرفت عن ضوابط الفهم

المنهجية الصحيحة للنص القرآني، لتجافيها عن النقل(المأثور) وإفرادها مساحة واسعة للنظر والاستدلال العقلي ،وغلبة الهوى على جل مقارباتها، **وانطلاقا من هذه الأهمية جاء اختياري لهذا الموضوع تحقيقا لغايتين:**

**الأولى:** وتتمثل في التحدي الواقع على كل من يدرس علوم القرآن والعربية فضلا عن كونه مسلما غيورا على هذا الدين الحنيف، ومن ثم كان لزاما علي أن أتعقب هذه الدعوات التجديدية المزعومة من خلال تتبع الفكر الإقرائي لأصحاب المشروع الحداثي العلماني حيال دلالة المفردة القرآنية .

**الثانية:** وتتمثل في محاولة التأصيل لنظرية فهم إقرائية حداثية مبدعة للنص القرآني موصولة بتراث الأمة التليد تعتمد روح الحداثة، تخرج النص من موقف إهدار دلالة المفردة القرآنية المعجمية والسياقية إلى موقف التفعيل لها، تتوافق مع مقاصد التشريع من غير تعذر لمراد الشارع، قراءة تعتمد روح الحداثة تحكمها مرجعية لغوية تراثية منضبطة منبثقة من مقررات اللسان العربي.

**حدود البحث:**

القراءات الحداثية المعاصرة لأرباب التيار العلماني بالتطبيق على نصوص حامد أبي زيد وأركون وشحرور .

**افتراضيات البحث:**

والبحث محل الدراسة يقوم على بعض الإشكالات والأسئلة التي يسعى لتقديم إجابة عنها في ضوء معطيات البحث العلمي ومناهجه، وهي:

- ما مدى إمكانية الاعتماد على الاستنتاجات العقلية في تحرير دلالة المفردة القرآنية ذات المضمون العقدي ؟
- ما أثر استجلاب العلوم والمناهج المعاصرة لساحة الدرس القرآني ؟
- هل يمكن اعتماد التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا) منهجا تأويليا بديلا عن ذاك الذي أصله المفسرون والأصوليون الأوائل ؟

- هل تصلح هذه القراءات ذات التوجه العلماني والمستقاة من ثقافات البيئة الغربية ومتغيرات الحضارة المعاصرة أن تكون قادرة على استجلاء أسرار التعبير القرآني، وسبر أغواره؟

- هل تجدي نظرية فهم إقرائية مفصولة عن تراث الأمة وهويتها، تهدف إلى طمس الفهم الموروث التبجيلي المقدس لدلالة المفردة القرآنية أن تغرس الحقائق الإيمانية والعقدية في نفوس المسلمين ؟

- هل ينتظر من قراءة تجعل النص الديني نصا متعدد القراءات، مفتوحا على جميع التأويلات أن تضبط آيات الأحكام والعقيدة وفق مقاصدها الشرعية ؟

- هل تصلح قراءة لا تؤمن بسلطة النقل، ولا بضوابط التأويل النصي أن تستنبط دلالات تتوافق ومقاصد التشريع الإسلامي؟

- هل نأمن لقراءة تضيق ذرعا بتصنيفات الأصوليين - التي تقسم الدلالة إلى قطعية وظنية، والنص إلى محكم ومتشابه- في فهم آيات الفرائض وأصول العقيدة؟

- هل يمكن الوصول لمنهج فهم تفسيري تجديدي منضبط يجمع بين متطلبات المسلم المعاصر وبين الدلالة الجوهرية الإيمانية القدسية للمفردة القرآنية من دون تعذر لمراد الشارع الحكيم في صورة نظرية إقرائية إسلامية؟

**أهداف البحث:**

هذا، وكان لهذا التيار العلماني في التفسير مرتكزات وروافد فكرية ومنطلقات معرفية وخلفيات ثقافية، عول عليها في قراءة النص القرآني الكريم فهما وتحريرا ومقاربة، **ومن ثم فإن البحث يهدف من تلك الدراسة الوقوف على نقطتين رئيستين، هما:**

**الأولى**: سبر المسالك اللغوية التي عول عليها أصحاب الفكر العلماني في قراءة النص القرآني فهما وتحريرا ومقاربة .

**الثانية:** تعقب المشروع الحداثي العلماني في قراءة النص القرآني، وتتبع دعواته

التجديدية المزعومة في ضوء قواعد الاستدلال والاستنباط المنضبطة .

**ثم يتفرع عنهما نقاط عديدة يهدف البحث لسبرها والوقوف عليها بالتحليل والتعقيب، وهي:**

- الوقوف على الآليات والمرتكزات التي قامت عليها القراءات الحداثية للنص القرآني الكريم .
- مدى توظيف أصحاب الفكر العلماني لبعض ظواهر اللغة في تحرير معاني المفردات القرآنية .
- دراسة دلالة بعض الألفاظ القرآنية التي حررتها الشخصيات محل الدراسة دراسة معجمية لغوية موازنة.
- مدى إسقاط الفكر والرؤى والخلفيات الثقافية التي يحملها القاريء العلماني على تحرير دلالة النص القرآني بما ينسجم مع هذه الخلفية الفكرية ،وأثر ذلك على المعاني القرآنية لألفاظ الكتاب العزيز .
- التأصيل لقراءة حداثية منضبطة تجمع بين المأثور والنظر والاستدلال العقلي تحكمها مرجعية لغوية عرفية منبثقة من مقررات اللسان العربي .

**الدراسات السابقة:**

هذا ومن خلال البحث والاستقصاء وقف البحث على مجموعة من الدراسات العلمية ذات صلة بالموضوع محل الدراسة، منها:

- الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن دراسة نقدية (ظاهرة الوحي انموذجًا) لإيمان الغزاوي، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة القانون بالأردن المجلد (٤٣) ع: (١)، ٢٠١٦م .
- منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني لكريمة محمد كريبة، بحث منشور في المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد العاشر، ع: (١)، ٢٠١٧م
- قراءة النص القرآني عند الحداثيين العرب المعاصرين (الخلفيات الفكرية والاستراتيجيات المعرفية) لـ: د/علي بودريالة، بحث منشور في مجلة المدونة

بالجزائر، المجلد السادس، ع: (١)، ٢٠١٩م .

- التجديد في التفسير ومناهجه عند الحداثيين العرب (محمد أركون وقراءاته، سورة العلق أنموذجا ... عرض ونقد) لـ: د/محمود علي عثمان، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الأردن، ع: (١١٨) سبتمبر،٢٠١٩م .

**ويكمن الفرق بين البحث محل الدراسة والأطروحات العلمية السابقة عليه في أن:**

- البحث سيتناول المنهج الإقرائي عند التيار العلماني تناولا تأصيليا وتطبيقيا من واقع النصوص والنماذج التحليلية الممثلة لها في كتاباتهم للوقوف على منهجهم في الفهم والتفسير والمقاربة .

- دراسة دلالة بعض الألفاظ القرآنية التي حررتها الشخصيات محل الدراسة دراسة معجمية لغوية موازنة.

- التحليل والمعالجة للنصوص والنماذج التفسيرية محل الدراسة سيكون تناولا لغويا – بعيدا عن الفصل في مسائل العقيدة، أو التحليل الفلسفي لأفكار العلمانيين- عرضا وتحليلا وتقويما؛ إذ يقتصر البحث في هذا التناول على المسالك والمقررات اللغوية التي اتخذها أصحاب الفكر العلماني أداة في ممارستهم الإقرائية للنص القرآني الكريم .

- مادة البحث محل الدراسة اتسعت لتشمل أكثر من شخصية ،وتستوعب أكثر من مؤلِف ؛ليتمكن البحث من إبراز منهج الفهم التفسيري لهذه الدعوات التجديدية بصورة أدق وأعمق وأشمل وأكثر مصداقية؛ حتى يطمئن البحث في النهاية إلى ما يصدره من أحكام تقويمية

- محاولة الوصول إلى تأصيل منهج إقرائي تفسيري منضبط منبثق من مقررات اللسان العربي من خلال عقد موازنة منهجية بين الفهم التراثي والفهم الحداثي للنص القرآني .

- وفي سبيل تحقيق هذا سيتبع البحث أدوات المنهج الوصفي لإجراء مراحل الجمع والاستقصاء، فالتصنيف ،ثم التحليل والمناقشة والتقويم .

**خطة البحث:**

هذا واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين، يسبقها مقدمة وتمهيد، ويقفوها خاتمة وثبت للمصادر والمراجع، وتفصيلها على النحو التالي:

- **التمهيد،** ويتضمن الحديث عن: التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا) من حيث (تعريفها- مقوماتها – مناهجها _ مناطها _ شروط المؤول الحداثي) .
- **المبحث الأول:** (القراءات الحداثية عرض ونقد)، ويشتمل على أربعة مطالب، هي:
  - **المطلب الأول:** حامد نصر أبو زيد وقراءة النص الديني
  - **المطلب الثاني:** أركون وقراءة النص الديني
  - **المطلب الثالث:** شحرور وقراءة النص الديني
  - **المطلب الرابع:** نماذج تفسيرية لدلالة المفردة القرآنية عند أصحاب القراءة الحداثية.
- **المبحث الثاني:** (قراءة منهجية للفهم التفسيري التراثي والحداثي للنص القرآني)، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** سمات المنهج الإقرائي للتيار العلماني حيال النص القرآني.
  - **المطلب الثاني:** موازنة منهجية بين القراءتين التراثية والحداثية للنص القرآني .
  - **المطلب الثالث:** محاولة التأصيل لمنهج فهم تفسيري تجديدي منضبط .

وبعد.. فالله أسأله تعالى التوفيق والعون والسداد والقبول في العاجل والآجل، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

**الباحثة**

**يوم الجمعة، غرة شعبان ١٤٤٦هـ**

---

## تمهيد

## التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا)

### تعريفها- مقوماتها- مناهجها- مناطها - شروط المؤول الحداثي

شهدت العقود الأخيرة دعوات حداثية[١] ترمو إلى إعادة قراءة النص القرآني الكريم بصفة خاصة والعقل الإسلامي - وما جاد به من إرث فكري - بصفة عامة على أسس فلسفية مادية و ليبرالية [٢] و علمانية[٣] هذه الأسس تنطلق من مبدأ

(١) الحداثيون "هم طائفة من الكتاب درسوا أفكار بعض الفلاسفة الغربيين الذين لم يكونوا على وفاق مع الإسلام، وتتلمذوا على يد بعض الفلاسفة العرب والمستشرقين من الذين حاولوا تصحيح بعض الأفكار المتعلقة بمبادئ الإسلام ؛ لذلك كان لتلاميذهم من حداثيي العرب مواقف مثيرة للجدل" ويترادف مفهوم الحداثة مع مصطلح الإصلاح الديني الذي دعا إليه الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني من حيث الهدف والمنطلق وهو تقديم العقل على النقل للتجديد في التفسير الموروث "(الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي انموذجا – دراسة نقدية لإيمان الغزاوي : ٢، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد :٤٣، ع : (١)، ٢٠١٦

(٢) الليبرالية مذهب فلسفي فكري ينزع إلى الحرية المطلقة التي لا تحدها الحدود، فالليبرالية "تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان" مفهوم الحرية لعبد الله العروي : ٣٩ المركز الثقافي العربي، ط : (٥) ،١٩٩٣م .

(٣) العلمانية هي الفهم العلمي للدين كما يقرر أبوزيد في كتابه نقد الخطاب الديني : ٣١ وهي في أصلها "اسم لمذهب فكري وتوجه فلسفي اجتماعي يهدف إلى حمل الناس على إبعاد الدين عن حياتهم ... وتشكل الخطابات القومية والليبرالية والماركسية ينابيع للعلمانية في نشاطها الفكري وحركتها وسط المجتمعات، هذه الينابيع هي بذات الوقت مصادر أيدلوجية كبرى للحداثة، وتبدوا العلمنة كمبدأ بعدا من أبعاد الحداثة، دون أن يعني ذلك صيغة محددة بعينها وفي إطار الحداثة فقد أسهم المفكرون العلمانيون القوميون، ومنهم الماركسيون في إذكاء تيارات الحداثة العربية وتعميقها""(الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي انموذجا – دراسة نقدية لإيمان الغزاوي : ٢، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد :٤٣، ع : (١)، ٢٠١٦ وعن بداية ظهور التيار العلماني "فالبعض يرى أنها تعود إلى عصر النهضة ،أي إلى فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، بينما يرى البعض الآخر أنها تعود إلى مساوئ الكنيسة، حيث جاءت كرد فعل على تلك الأخطاء وتجلياتها من

مفاده أن كل فهم يتأثر بظروف وخلفيات مفسره وثقافته وميوله وأحكامه المسبقة (الأيدلوجية) في تفسير النص الديني، كما تضع التغير المستمر والمتجدد لعملية الفهم وإنتاج الدلالة - بما يتراءى لأفق القاريء وتأويليه الذاتي - أولى خطوات هذه القراءة الحداثية، مع الأخذ في الاعتبار تاريخية النص وقصره على أسباب نزوله خارج معطيات النص وبعيدا عن قصد صاحبه .

فالقراءة العلمانية أو الحداثية يمكن وصفها بأنها موقف القاريء الحداثي/ العلماني حيال النص القرآني الكريم، فهي قراءة تفسيرية نقدية تقوم على استرفاد علوم الغرب ومناهجه التحليلية النقدية – على اختلافها انطلاقا وغاية مع طبيعة النص القرآني - إلى ساحة تفسير دلالة المفردة القرآنية فهما ومقاربة وتحليلا وتحريرا وفق مناهج الفلسفة الجدلية المادية الغربية والتحليل الأدبي والألسني والسيميائي، تحت مسمى العصرية والحداثة والعولمة .

وهذه القراءة العلمانية بهذا النهج مرادفة – في الظاهر أو في الاستعمال - مع المصطلحين التراثيين (التفسير والتأويل) إلا أنها _ منهجيا_ مفصولة تماما وبعيدة كل البعد عن إرث الأوائل ومناهج التفسير التراثية (القراءات الأيدولوجية التبجيلية أو التفاسير التقليدية الأرثوذكسية أو التأسسية على حد وصف العلمانيين) بل وتدعو إلى إحداث القطيعة الكبرى مع كل ماله صلة بالتراث ونزع صفتي القداسة والربانية عن دلالة المفردة القرآنية وإفراغها من مضمونها الإيماني والعقدي وصب معانيها القرآنية الشريفة في قوالب ماركسية مادية، كما تُظهر العداوة الواضحة مع المنهجية الخاصة للعقل المسلم وعقيدته ومعهود لغته وتراثه وبيئته وهويته العربية .

وإذا كان التأويل في التراث يعني في مجمله- على اختلاف بيئته العلمية وتعدد مشاربه الفكرية - صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله لقرينة صحيحة

=

إعدامات واضطهادات وتنكيلات للعلماء والمفكرين ".( النص في القرآن بين تأويل القدامى والمحدثين دراسة تحليلية :٣٨٠ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات اللغوية من الباحث : نجادي بو عمامه لكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، ٢٠١٤م) .

شرعية أو عقلية أو لغوية أو عرفية أو مقاصدية معتبرة ومنضبطة ومرتبطة بالنص مقاما ومقالا فإن التأويل في القراءة الحداثية يعني صرف اللفظ بالكلية عن معناه ووجهته التشريعية، والخروج به عن معطيات النص وما يفرضه من مضامين دلالية حالية ولغوية، وإخضاعه لعنان القاريء وهواه المتشبع بمعطيات ثقافته على اختلاف توجهاتها ومناهجها التي لا تعرف للثبات طريقا، ولا للحقيقة المطلقة سبيلا.

وأيا ما كانت الظروف السياسية أو الدينية التي ساعدت على نشأة الفكر العلماني فإنه نما وترعرع في أحضان الثقافة الغربية ومناهجها التشكيكية وحضارتها المادية المتمردة – بالمناسبة على تعاليم الكنيسة - حيث تبنى هذا التيار النموذج الغربي التأويلي في تفسير دلالة المفردة القرآنية " وأعلن عن حضوره البارز في نقد العقل الإسلامي، وتأويل النص الديني على يد محمد أركون ،ثم سار على المهيع نفسه نصر حامد أبوزيد مسترفدا التأويلية الهيرمينوطيقية والنظريات اللسانية، منتهيا في نهاية المطاف إلى دعوى (تاريخية النص القرآني) ثم بلغت فتنة القراءة الحداثية أوجها على يد م. محمد شحرور، فقراءاته للنص القرآني تنطلق من منطلقات ماركسية في التأصيل والتنزيل مع التوسل بمنهج تشطيري تجزيئي في مجال الدرس اللغوي والمعجمي، وهم في هذا الصنيع الحداثي لائكين في شبه الغربيين من جهة، منبئين عن ضآلة معرفتهم بلغة الوحي الشريفة من جهة ثانية"[1].

## التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا)

الهرمينوطيقا من النظريات الحداثية الغربية التي طرحت في مجال تفسير النصوص ومقاربتها، وتعد المرتكز الأساس للقراءة الحداثية بوصفها قراءة تاريخية نقدية مستقاة من المناهج الغربية التي استخدمت في تأويل النصوص المقدسة – في بادئ أمرها - بواسطة الحداثيين العرب والمسلمين وكان لها حضور بارز ومؤثر في قراءة وتفسير النص الديني .

(١) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر لـ : د/قطب الريسوني : ٢٠٧وما بعدها بتصرف يسير، شؤون وزارة الأوقاف المغربية، ٢٠١٠م .

والهرمينوطيقا" نشأت في أروبا بين جدران الكنيسة، وهي في أصلها منهج نقدي يهتم بدراسة النصوص الدينية دراسة فونولوجية، و يبحث في أصل هذه النصوص ومصدرها والتثبت من صحتها"[١] ومصطلح الهرمنيوطيقا "مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ؛ ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني"[٢] والأصل الاشتقاقي لهذا اللفظ الأعجمي يتفرع عنه استعمالات لغوية مفادها التفسير والتحليل والتأويل والمقاربة والفهم والقول والتوضيح، وتعني سبر النص ومقاربته دلاليا وتحليله لاستجلاء معانيه المتوارية، وتحصيل وجوه فهمه، وهذا المنهج التأويلي يندرج تاريخيا في إطار المذهب الديني الذي يمثله الفكر اللاهوتي الديني الذي عني بتفسير نصوص التوراة والإنجيل ثم تجاوزها إلى النصوص الأدبية .

**تحول الهيرمنوطيقا من علم لاهوتي إلى منهج تحليلي أدبي**

تَداوُل مصطلح الهرمينوطيقا في أصل منشئه هو الدراسات اللاهوتية الغربية التي عنيت بشرح الكتب المقدسة – التي تباعدت لغتها مع لغة العصر - ترجمة وتحليلا ومقاربة، ثم استجلب هذا العلم التنظيري المؤطر لساحة الدرس القرآني الكريم والتراث الإسلامي فهما وتفسيرا ومقاربة "لكنها مدت نطاق اهتمامها بعد ذلك لتشمل كل أنواع النصوص الأخرى لغوية وغير لغوية، فهي لم تعد تقنية مختصة ومقتصرة على مؤولي الوحي والخوارق، بل التأويل الأهم هو الذي يضع نصب أعينه الإشكالية العامة للفهم"[٣] .

وتحول هذا العلم التأويلي من علم أنشيء لقراءة النص الديني ومدارسته إلى منهج علمي مؤطر لتأويل النصوص الأدبية والفلسفية كان أكبر منعطف عرفته الهيرمينوطيقا؛ نظرا لما يتيحه هذا المنهج من أدوات علمية ومنهجية في قراءة ونقد النص الأدبي تتجافى مع طبيعة النص الرباني، وكان "من أثر هذا التحول تحقق

(١) الهرمونوطيقا ودورها في تأويل النص الديني دراسة تحليلية نقدية د/ زهراء علي دخيل : ١٩٦، مجلة جامعة المعارف، ع : (٧)

(٢)منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني : ٤ كريمة محمد كريبة ،المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد : ٧، ع : (١)، ٢٠١٧

(٣) منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني : ٤ .

المماثلة والتجانس بين النصوص الإلهية والنصوص البشرية، وفصل ما هو مقدس عن مصدره المتعالي، وربط هذا النص المقدس الذي له السلطة في الحكم على النص تبعا لمرجعيته الفكرية، وبمقتضى المثاقفة والاحتكاك بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية فقد دعا كثير من المثقفين والباحثين في قضايا التفسير والتأويل إلى قراءة النص القرآني وفق المباديء والأسس والشروط الموضوعة للمنهج التأويلي، وإخضاعه لهذه الشروط يجب أن تتم فيه مراعاة طبيعة النص في مصدريته ومقصديته"[1] .

## الأسباب الداعية إلى ظهور التأويلية الحديثة (الهرمنيوطيقا)

في التراث الإسلامي شرع التأويل لداع فقهي تكليفي يتحتم _ أحيانا_ عند انعدام الأدلة قطعية الدلالة انطلاقا من القاعدة الأصولية: (إعمال النصوص أولى من إهمالها) أو يشرع لوازع إيماني دعت إليه الآيات الكريمات في غير موضع من الكتاب العزيز، أو للتهدي بخطى الرعيل الأول من الصحابة – رضوان الله عليهم - في الإقبال على آيات الكتاب العزيز - مصدر التشريع الأول لهذا الدين الحنيف - فهما وتهديا وتدبرا واستنباطا وتعبدا، أو حتى للانتصار لأصول عقدية (كما في التأويل المذهبي) ولكن الدافع في التأويل الحداثي يجده البحث غير مبرر، اللهم إلا هذا الشعور بالهوان والدونية - (عقدة الخواجة كما يقولون) – الذي أحدثه الاستعمار الأوروبي لبقاع الوطن العربي، وما أعقبه من فجوة حضارية مادية بين الغرب والعالم الإسلامي العربي، فالتبعية لمناهج الغرب في التفسير والتحليل والنقد ،واستجلاب مصطلحات ومقولات فلسفية تتجافى مع طبيعة النص القرآني والبيئة العربية بصفة عامة، والدعوة إلى قطيعة التراث هي الدافع من هذا المشروع الحداثي في قراءة النص القرآني الكريم.

## مقومات المنهج التأويلي الحداثي

والهيرمنيوطيقا بمناهجها الغربية في الفهم والتحليل هي الرافد الأساس والحصن المنيع للقراءة الحداثية، وموجها لتأول النص القرآني عند أصحاب التيار العلماني بما يتساوق وتوجههم الحداثي وافتتانهم بعلوم الغرب ،بل ويرون أن في

(١)التأويلية وقراءة النص الديني لمحمد بن عمر : ٢٨.

تفويتها إهدار فرصة عظمى في تفسير دلالة المفردة القرآنية ومقاربة فهم معانيه .

والهرمينوطيقا نظرية علمية تقوم في نهجها التأويلي وأدواتها التحليلية على مجموعة من الأسس والمرتكزات النقدية التي تم إسقاطها على فهم النص الديني ،شكلت هذه المقومات[1] بمجملها **الدعائم التأويلية التي عولت عليها الهرمينوطيقا فهما وتحليلا ونقدا،** وهي كالتالي:

١- _انعدام الثقة في القراءة الواحدة التي تحد من حرية القاريء وهيمنته على النص فلا براءة في المعنى المستنبط الأوحد، فلا وجود لقراءة واحدة برئية، وهذا المرتكز منزعه مقولات الماركسية الجدلية والمناهج النقدية التشكيكية .

٢- إعطاء الصلاحية الكاملة والحرية المطلقة للقارئ في أن يقول ما شاء كيفما شاء، فله أن يطوع دلالة النص حسب ما يريد، ويلويه لتستجيب لأفكاره واختياراته ونزعاته النفسية، وبواعثه المتحررة، فالدلالة المؤولة في هذا المنهج التأويلي الحداثي ليس للنص ومعطياته سلطة عليها، بل القاريء – على مر العصور بما يحمله من رغبات ونزعات - هو الذي يمارس سلطته على النص، فيوجه دلالته كيف وأنى شاء حتى يستجيب النص بدلالته المضمرة والظاهرة طوعا أو كرها لعقل القاريء المتحرر المتشبع بالهوى ،وبالتالي تتعدد القراءات المؤولة كنتيجة طبيعية لتعدد القراء والمؤولين للنص ،وانعدام الثقة في القراءة الواحدة .

٣_انفصال النص عن ناشئه، فالقراءة المثيرة المنتجة في التأويلية الغربية هي التي يتحرر فيها النص من سلطة مؤلفه، بادعاء موت المؤلف وتأليه القاريء، وهذا المرتكز فرضه المنهج التفكيكي الذي ينزع إلى تحرير النص من سلطة مؤلفه، وإحلال أفق القاريء محله لتوليد عدد لانهائي من الدلالات التي لا علاقة لها بمراد القائل .

٤_ انعدام القصدية، وتأثير الواقع المتغير ومتطلبات العصر على فهم النص من

(١) ينظر تفصيل القول في هذه المقومات في الهرمونوطيقا ودورها في تأويل النص الديني دراسة تحليلية نقدية :٢٠٤ومابعدها، والنص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢٦٤وما بعدها .

خلال الاعتماد على إبداعية المتلقي ،فالمغزى من النص هو الذي يقرره المتلقي وحده بوصفه منتج الدلالة بعيدا عن قصد صاحب النص، وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيما يرمو إليه صاحب النص الذي حكم بموته بمجرد تلقي القاريء للنص، وفرض هيمنته عليه .

٥_انفتاح الدلالة، ولا نهائية المعنى، وهذا المرتكز إفضاء حتمي لما سبق من مقومات انعدام الثقة في القراءة الواحدة، وانتفاء القصدية، وإقصاء المؤلف عن نصه وإحلال هوى القاريء وتأويلاته الذاتية محله، فأصبح النص – تبعا لذلك- مجالا رحبا للقراءات المتعددة، والمعاني اللامتناهية، والصراعات التأويلية الذاتية .

٦_التناص (الانتحال) أو التعالق النصي، أو التداخلية، أو البين نصية، وكلها مترادفات لمفهوم واحد ينطر إلى النص على أنه نتاج اقتباسات نصية سابقة عليه فلا يوجد نص خالص، وإنما يوجد (البين نص) .

٧_الفجوات البيضاء من الفراغات والصوامت، التي يتحتم على المتلقي ملأها واستنطاقها من خلال تأويلات غير متناهية لا تمت بصلة لقصد المتكلم .

٨_الرمزية المطلقة، وتعني أن اللغة نظام من الرموز والعلامات والإشارات الاعتباطية، **وهذا المرتكز يصطدم مع فكر ابن جني الذي أثبت إحكام هذه اللغة الخالدة بوجود علاقة تعبيرية محكمة بين اللفظ ومدلوله في غير باب من خصائصه.**

وعلى أية حال فإن هذه المرتكزات التي قامت عليها الهيرمينوطيقا نابعة من نتاج تحليل المناهج النقدية التشكيكية التي لا تعرف للتعبير النهائي والدلالة الثابتة سبيلا، بل تنزع إلى الافتراضيات الجدلية، والحجاج العقلي الفلسفي، واليأس من تحصيل اليقين .

**المناهج التي قامت عليها القراءة العلمانية (مصادر تلقي القراءة الحداثية للنص القرآني) .**

وفي سبيل تحقيق هذه المقومات التي ترتكز عليها هذه النظرية التأويلية الغربية انتهجت لذلك عدة مدارس تحليلية كانت لها المنطلق والمآل، كالتاريخية والبنيوية والتفكيكية، وتنطوي هذه المدارس على أدوات علمية تسلكها في الدرس

والتحليل والنقد تصطدم مع خصوصية النص القرآني الأسلوبية والتعبيرية والربانية، إلا أن أصحاب التأويل العلماني أبوا إلا التوسل بها في تحريرهم لدلالة المفردة القرآنية ؛ فلاذوا إليها مستنجدين بها في نقدهم للعقل الإسلامي وساحة تفسير النص القرآني " تلبية لنداء معرفي خالص، أو إشباعا لرغبة أيدولوجية ميتة ؛ لإيمانهم بأن اللسانيات عصا سحرية تفتح أبواب النص على مصاريعها، وتعين على استنطاق الحقائق المستورة"[١] ومن ثم تقويض ربانية القرآن الكريم، وإحكام القبضة على مصادر التشريع الأولى(القرآن الكريم والسنة الشريفة) وإحلال القوانين الوضعية محلها، **ومن هذه المناهج التي تعتمد عليها الدراسة اللسانية:**

**أولا: المنهج التاريخي:**

ويقوم على قراءة النص الديني قراءة زمنية، بمعنى ربط النص ومفرداته ومضامينه الدلالية بزمن نزوله، وليس بزمن قراءته الآنية "ويرتبط هذا المنهج بعدد من المدارس الفلسفية، كالوجودية، والماركسية، وحركة اللسانيات الحديثة، وقد تفرع عن هذا المنهج مفاهيم أخرى، من أهمها: نظرية (الأنسنة) والتي تجعل الإنسان محورا لتفسير الكون بأسره، وتؤكد على إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين أو الوحي، فالوحي عندما يراد فهمه لابد أن ينتقل من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، كما تفرع عنه أيضا نظرية (النسبية) فالنصوص وإن كانت ثابتة في منطوقها إلا أنها متحركة في المفهوم تبعا لتغير الزمان والمكان، ينتهي هذا المنهج التاريخي وما تفرع عنه من نظريات إلى التعدد غير المحدود في تأويلات النص"[٢] وأصحاب التيار العلماني كانوا من أشد الانتماء والولاء لهذا المنهج التحليلي، فكانت القراءة التاريخية هي المرتكز الرئيس عند أركون حيال تفسيره لدلالة المفردة القرآنية، فإن – أردنا من باب المواكبة العصرية- " أن نعتقه من أغلال سياقه التاريخي في العصر الإسلامي الأول، ونستشرف به آفاقا جديدة، ونجيب به عن نوازل مستأنفة، نكون قد انسلخنا من إطاره المرجعي، وتعالينا عن شروط واقعه، وارتكسنا في اللاالتاريخ"[٣] ضاربين بهذا المنهج الأركوني مقولة أن القرآن الكريم

(١) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٣٨٨ .
(٢) منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني : ٤
(٣) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢١٣ .

دستور حياة صالح لكل زمان ومكان، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

و" لكن الذي ينهض دليلا يعكر على دعوى تاريخية النص القرآني عند أركون أن الصحابة في عصر النبوة وهم الذين عاصروا نزول الوحي، وملابسات التشريع كانوا يسارعون في الامتثال لأحكام التكليف، وإن نزلت في مواقف بعينها أو أفراد محددين، لإدراكهم التام بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلا إذا ورد أمر أو قرينة تقيد هذا العموم ،ولولا هذا العموم المستغرق لأهل التكليف، والعالمية المخترقة لسدود الزمان والمكان، لدان بالإسلام أفراد دون أفراد، وجماعات دون جماعات، بدعوى أن التشريعات مقصورة على أسباب نزولها ،ومحصورة في نطاق المخاطبين بها من الأفراد، ومن هنا تصبح الشريعة مجزأة، والدين مبعضا، والتكليف ضيقا، وكل هذا يستحيل في حق رسالة خاتمة خالدة نزلت هدى للناس ورحمة للعالمين"[1] **وبتطبيق هذا المنهج النقدي التاريخي على قراءة النص القرآني بمقوماته الألسنية - من نسبية وأنسنة وعقلنة وأرخنة - ينتج ما يلي:**

- أحكام الشريعة الإسلامية تصبح نسبية متغيرة وليست ثابتة مطلقة، لتعلقها بأحداث زمانية مرتهنة بأسباب نزولها.
- وقف العمل بمقتضى الأحكام التشريعية التي لا تجاري متغيرات العصر، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه تحت مسمى العصرية والحداثة والعولمة ومسايرة المصالح المستجدة .
- تقويض السلطة التشريعية الإلهية، وهيمنة الفكر الحداثي الغربي والقوانين الوضعية على النص .
- دلالة النصوص الدينية تصبح منتجا ثقافيا تخضع لمطارق النقد التحليلي، مفتوحة على تأويلات غير منتهية، مفصولة عن مصدرها الرباني موصولة بأفق قارئه وتأويله الذاتي .

**ثانيا: المنهج البنيوي (البنيوية)**

البنيوية منهج لساني، غايته الوصول إلى معنى النص من خلال العناصر

(١) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢١٣ ..

والأجزاء المكونة له (بنيته الداخلية فقط) وفصله تماما عن قائله والعناصر الخارجية المتعلقة بالنص، والباحث البنيوي "يقوم على حصر القيمة في النص في ذاته، ولا يهم مؤلفه ولا مقاصده، ولا حتى أوضاعه التي أنتج فيها خطابه، فالنص كمعطى يدرس من خلال أجزائه وتراكيبه وجمله وبنيته ككل "[١] .

**ثالثا: المنهج التفكيكي:**

القراءة التفكيكية تتطلع إلى الوصول إلى أكبر قدر من المعاني المتولدة من النص حتى وإن كانت متناقضة فيما بينها، والمنهج التفكيكي في أصل نشأته "قام على أنقاض المنهج البنيوي، وتغذى من روافد الفلسفة العدمية والهدمية ،القائمة على مبدأ الشك واليأس من تحصيل اليقين، والقراءة التفكيكية هي قراءة ثنائية الاتجاه، تسعى إلى إثبات منطوق النص ودلالته الصريحة، ثم تعمل فيه معاول الهدم في قراءة مضادة ناسخة، تقول صاحب النص مالم يقله، لنسخ مقاصده بمقاصد جديدة يحبل بها أفق المتلقي المشغوف باكتشاف المحجوب والمسكوت عنه، ... وإذا كانت البنيوية قد اغتالت صاحب النص، وأنزلت القاريء منزلته، فإن التفكيكية اغتالت النص وصاحبه معا في رمية واحدة، ومن هنا جاء حتفها المحقق ورحيلها المبكر"[٢] .

**ومن ثم يمكن – من خلال التعريف السابق للقراءة التفكيكية - تحديد الخطوات الإجرائية التي يعتمد عليها المنهج التفكيكي في النقاط التالية:**

- قطع الصلة بين النص وقائله، والمعنى واحتمالاته القريبة الظاهرة، فعملية التفكيك والتحليل تتم وفق آليات تفكير القاريء بصرف النظر عن قصد قائله، فالممارسة التأويلية في المنهج التفكيكي خاضعة لميول القاريء وعقله المتحرر من أي مرجعية منضبطة يرتد إليها .
- قبول تأويلات متعددة تجمع بين المعنى ونقيضه .
- المنهج التفكيكي يولد عدد من القراءات لا حصر لها، تُنتَج حسب معطيات

(١) الخلفيات الفكرية والاستراتيجيات المعرفة لـ: د/علي بودربالة : ٦١، مجلة المدونة، المجلد : ٦، العدد : ١، ٢٠١٩

(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٣٩٠

القاريء وفهمه للنص .

**وبعد هذا العرض للمقومات التي تتكئ عليها الهيرمينوطيقا، والمناهج الألسنية التي تتوسل بها لفهم وتفسير النصوص، والحيثيات الاعتبارية التي تأسس عليها جال بخاطري أسئلة حول هذه النظرية التي أطرت لفهم النص القرآني الكريم، وهي:**

- هل ميدان تطبيق الهرمينوطيقية بهذه الاعتبارات، والشروط المنهجية تصلح لتطبيقها على قراءة النص الديني، ومن ثم الكشف عن بيان معنى المفردة القرآنية؟

- هل المنهج الألسني السيميائي الذي يهدف – كما يقول أركون - إلى "استخدام المنهجية الألسنية إلى تحرير القاريء المسلم من هيمنة النصوص المقدسة ولو للحظة حتى يمكنه إدراك العلاقات الداخلية للنص بكل حيادية وموضوعية"[(١)] بحيث يجعل" القرآن نصا مفتوحا على جميع المعاني، ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنقذه بشكل نهائي وأرثوذكسي"[(٢)] أن يصلح بديلا للتأويل الإسلامي بمرجعيته التراثية ؟

- هل يصلح هذا المنهج التأويلي نظرية تأسيسية كبديل حداثي لفهم دلالة المفردة القرآنية ؟

- هل يصلح هذا المنهج الإقرائي الغربي الذي يسلم النص للقارئ يقول فيه ما شاء كيف شاء لتفسير الأوامر التكليفية الشرعية؟

- هل يصلح هذا العلم التأويلي الغربي الذي لا يلقي بالا لقصد المتكلم أن يفسر مراد الله عز وجل وفق مقاصد التشريع الإسلامي؟

- هل يصلح هذا المنهج الذي ينادي بانفتاح الدلالة وتعددية الإنتاجية الإقرائية باستجلاء أسرار المفردة القرآنية المعجزة؟

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون : هامش صفحة : ٩٤، ترجمة / هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي المغربي، ط : (٢)، ١٩٩٦م .

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون : ١٤٥، ترجمة / هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي المغربي، ط : (٢)، ١٩٩٦م .

- هل يجدي هذا المنهج الذي يعتبر القراءة المستنبطة في حالة إرجاء دائم لحين إنتاج دلالات أخرى غيرها يصلح لإسقاط المقاصد التشريعية على دلالة المفردة القرآنية؟
- هل تصلح النظرية التأويلية الحديثة التي تنظر للنص على أنه انتحال للنصوص سابقة عليه أن تنصف في إبراز السمات الإعجازية لخصائص المفردة القرآنية التعبيرية والأسلوبية؟
- هل ينتظر من منهج علماني يرى في النص فجوات متروكة للملتقي يملؤها كيف شاء أن يُحكم فهم دلالة المفردة القرآنية ؟
- هل يجدي بنظرية تؤمن باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول أن تراعي القيم التعبيرية الدلالية لأصوات المفردة القرآنية ؟
- هل تنهض نظرية مادية جدلية بترسيخ الحقائق الإيمانية الغيبية التي تضمنتها دلالة المفردة القرآنية في نفوس المسلمين ؟
- وهل يصل هذا المنهج التأويلي بهذه الصورة لتفسير القرآن الكريم بإعجازه المتنوع والمتعدد الذي خاطب مختلف الأجيال في مختلف العصور والأزمان بلغة ثابتة ؟
- هل يصلح هذا المنهج التأويلي الغربي بديلا عن المنهج التأويلي الإسلامي بقواعده المحكمة الموصولة بلغة العرب والجارية على سننهم في المحاورات ؟
- هل هذه القراءة المصطبغة بسمات مناهج النقد الأدبي والفلسفي في الفكر الغربي الحديث تصلح بديلا لقراءة وفهوم الصحابة والتابعين من السلف الصالح؟
- هل تصلح هذه القراءة ذات التوجه العلماني والمستقاة من ثقافات البيئة الغربية ومتغيرات الحضارة المعاصرة أن تكون قادرة على استجلاء أسرار التعبير القرآني، وسبر أغواره؟
- هل تجدي نظرية تأويلية مفصولة عن تراث الأمة وهويتها، تهدف إلى طمس الفهم الموروث التبجيلي المقدس لدلالة المفردة القرآنية أن تغرس الحقائق

الإيمانية والعقدية في نفوس المسلمين ؟

- هل ينتظر من قراءة تجعل النص الديني نصا متعدد القراءات، مفتوحا على جميع التأويلات أن تضبط آيات الأحكام والعقيدة وفق مقاصدها الشرعية ؟
- هل تصلح قراءة لا تؤمن بسلطة النقل، ولا بضوابط التأويل النصي أن تستنبط دلالات تتوافق ومقاصد التشريع الإسلامي؟
- هل نأمن لقراءة تضيق ذرعا بتصنيفات الأصوليين - التي تقسم الدلالة إلى قطعية وظنية، والنص إلى محكم ومتشابه- في فهم آيات الفرائض وأصول العقيدة؟

**بالطبع لا يعتد بهذه المدارس الغربية منهجا تأويليا لدلالة المفردة القرآنية**، فالنص القرآني يصبح بعد إخضاعه لهذه المناهج اللسانية النقدية نصا خاليا من محتواه العقدي والإيماني نصا كأي نص بشري "عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل المعاني"[(١)] مكون من رموز متعددة ومتغيرة المعنى تتغير بتغير القاريء وزمنه ومكانه ،دلالاته لا تمت بصلة إلى المقاصد التشريعية أو مراد الله عز وجل، وإنما هي نتاج عقلي غير محكم بأي ضوابط تكبح جموحه، ومتحرر من أي سلطة تشريعية تقيد إبداعه المزعوم، ولا عجب من هذا التهافت الإقرائي ؛ إذ إن الواقع الغربي الذي استرفده أصحاب الفكر العلماني كنموذج متحضر ومثالي للواقع المعاصر، هو في أصله فكر متمرد على تعاليم دينيه وأحكامه التشريعية تخلص منها في ثورته على رجال الدين من أصحاب الكنيسة (الكاثوليكيين) وأطلق العنان للإنسان ليحكم واقعه بعد موت الإله كما يزعمون في فلسفتهم، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا.

**شروط المؤول لدلالة المفردة القرآنية من المنظور العلماني**

للمتصدي لقراءة النص القرآني الكريم أدوات ومهارات يجب أن يتسلح بها المؤول الحداثي، أجملها أركون في قوله: "أولا ما يجب على القاريء أن يتزود به من تكوين علمي، والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات

(١) تاريخية الفكر الإسلامي لأركون :١٣٩.

الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الإبستمولوجي، وثانيا أن يتدرب القاريء على التمييز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني، فهذان شيئان مختلفان، فتحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم المعاينة الصحيحة وإبطال التفاسير الموروثة، بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ، والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته الخطاب النبوي"[1] ومن ثم فالتأويل الصحيح الذي يدعو إليه هؤلاء العلمانيون هو تأويل قائم على استرفاد الفكر الغربي بمناهجه النقدية المادية الجدلية، وأدواته في الدرس والتحليل القادرة على نقد الفكر الديني في عصر الحداثة بديلا عن مناهج المفسرين التراثيين التقليدية التي تتسم بعدم الموضوعية والدقة .

**مناط التأويل الحداثي**

**قبل الحديث عن مجال التأويل في القراءة العلمانية، أود التنبيه على أن:**

- القرآن الكريم في نظر العلمانية- بانتهاجها للهرمينوطيقا- نص لغوي غير مكتمل، والمؤول يستكمل نقصه، ويملأ فراغاته، ويستنطق صوامته بما يحلو له من دلالات حرة طليقة .

- النص القرآني نص عند إخضاعه لمناهج التحليل الغربي يموت منشؤه – تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا- ويحل أفق القاريء ورأيه المجرد، وتأويله الذاتي المتحرر محله .

- النص القرآني الكريم باعتبار المجريات المنهجية للتأويل الهيرمينوطيقي ليس نصا ربانيا خالصا، وإنما هو نسيج مشوب من إحالات واقتباسات نصوص سابقة عليه مجرد من جوهره الرباني الخالص ودلالته الإيمانية المقدسة، وغدا "صوغا فنيا محكوما بتقاليد الأدب الجاهلي، ومنتجا ثقافيا مندغما في قانون الجدلية الماركسية"[2] .

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون : ٥، ترجمة وتعليق : هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط (٢) : (٢٠٠٥) .
(٢) النص القرآني من التهافت إلى أفق التدبر : ٢٩٧ .

- النص القرآني بتمريره على مناهج الغرب التفكيكية والبنيوية يصبح نصا منفتح الدلالة، لا يعرف للمعنى النهائي سبيلا، ترد عليها فهوم عديدة، وتأويلات شتى حسب ما يتراءى للقارئ وما تمليه عليه تجاربه الذاتية، وبواعثه ونزعاته ورغباته النفسية المتسلطة .
- النص القرآني في التأويل العلماني عبارة عن إفراغ مضامين المفردة القرآنية من جوهر مدلولها الأصلي .
- الممارسة الإقرائية للنص القرآني في الفكر العلماني ليست كشفا عن مقصد المتكلم، ولا سعيا وراء استنباط دلالة اللفظ المحتمل القريبة، وليست صرفا للفظ عن ظاهره بقرينة صحيحة معتبرة، وإنما هي كلأ مباح لكل راتع .
- الدلالة المؤولة المنبثقة من القراءة الحداثية مقطوعة الصلة بأي مرجعية تراثية ترتد إليها .
- الممارسة الإقرائية العلمانية تتمخض عن دلالات مصطبغة بصبغة غربية ،قائمة على إهدار الدلالتين المعجمية والسياقية للمفردة القرآنية بقصد إفراغها من جوهر مدلولها الإيماني وصبها في قوالب ماركسية مادية.
- الفكر العلماني لا يفرق بين دلالة قطعية الثبوت وأخرى ظنية الثبوت ،أو دلالة محكمة وأخرى متشابهة ،فكل معاني القرآن محل نظر واجتهاد .
- الدلالة المؤولة في القراءة الحداثية وليدة تسلط الآلة العقلية الجدلية مقطوعة الصلة عن أي مصدر احتجاجي سماعي مهما بلغت صحته النقلية .

**وبناء على هذه الاعتبارات فإن كل آي القرآن محل تأويل ونظر واجتهاد في القراءة العلمانية فالنص القرآني الكريم كله يغدو في الممارسة التأويلية العلمانية من المتشابهات والمجمل والمجاز وظني الدلالة، ومتاح فيه لكل قارئ أن يحدد دلالة المفردة القرآنية بما يمليه عليه أفقه وعقله المتحرر من كل سلطة تكبح جموحه، فالتأويل العلماني لصيق بكل خطاب مهما تعددت مستوياته الدلالية من حيث الوضوح وعدمه، متحرر من أي سلطة شرعية تضبطه لا يستند في استنباطه للدلالة إلى قرينة معتبرة لصرف اللفظ المؤول عن ظاهره كما في تأويل السلف عليهم من الله الرحمة والرضوان والمغفرة .**

## المبحث الأول

## القراءات الحداثية عرض ونقد

ويحوي المطالب التالية

- المطلب الأول: حامد نصر أبو زيد وقراءة النص الديني
- المطلب الثاني: أركون وقراءة النص الديني
- المطلب الثالث: شحرور وقراءة النص الديني
- المطلب الرابع: نماذج تفسيرية لدلالة المفردة القرآنية عند أصحاب القراءة الحداثية

### المطلب الأول

### نصر حامد الأنصاري وقراءة النص الديني

إن المنحى العقلي في الممارسة التأويلية عند أصحاب التيار العلماني يظهر في كتابات حامد الأنصاري، والتي تحمل ملامح منهج العقل التأويلي في الفكر العلماني على نحو ما تظهره هذه النصوص المنتقاة من كتاباته النقدية حول النص الديني والإرث التفسيري والعقل الإسلامي، وتحدد- في الوقت ذاته- **السبل المنهجية التي تبناها أبو زيد الأنصاري في قراءته للنص القرآني والتعامل معه فهما وتوجيها وتأويلا كما يلي:**

_ "الأصل والبدء هو سلطة العقل التي يتأسس عليها الوحي ذاته"[(١)] .

_ "استطاع خطاب التنوير أن يرفع غطاء القداسة عن الخطاب الديني القديم والحديث على السواء، واستطاع بذلك أن يضع بذور التعامل مع التراث بكافة جوانبه بوصفه ظاهرة تاريخية متطورة "[(٢)] .

_ " إن ما نعنيه بالوعي التاريخي العلمي بالنصوص الدينية يتجاوز أطروحات

(١) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبي زيد الأنصاري :١٣١، سينا للنشر، القاهرة، ط : (٢)، ١٩٩٤ .

(٢) السابق ذاته : ٢٠٠ .

الفكر الديني قديما وحديثا، ويعتمد على إنجازات العلوم اللغوية خاصة في مجال دراسة النصوص"[١].

_ القرآن الكريم كما يراه الأنصاري "نتاج تجربة فردية قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم في إطار زمن ومكان محددين، أدى فيه التاريخ دورا مهما في توجيه فكر الفرد _أي الرسول الكريم- وأما السنة فهي اجتهاد الرسول في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات"[٢] .

_ "إن حل مشكلات الواقع إذا ظل يعتمد على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشكلات، حتى مع التسليم بأن الخطاب يقدم حلولا ناجعة، ذلك لأن اعتماد حل المشكلات على مرجعية النصوص الإسلامية من شأنه أن يؤدي إلى إهدار حق المواطنة بالنسبة لغير المسلمين"[٣] .

_ "... وإذا كان الفكر الديني يجعل من قائل النص – الله – محور اهتمامه ونقطة انطلاقه فإننا نجعل المتلقي – الإنسان – بكل ما يحيط به من واقع اجتماعي تاريخي هو نقطة البدء والمعاد"[٤] .

_ "الإلهيات تتأسس دائما على الإنسانيات"[٥] .

_ "وإذا كنا هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية .... [هذا التبني] يقوم على أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ، وإلى طبيعة النصوص ذاتها"[٦] .

_ "وإذا كانت النصوص الدينية نصوصا بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في تاريخية محدودة، هي فترة تشكلها وإنتاجها، فهي بالضرورة نصوص تاريخية،

---

(١) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبي زيد الأنصاري ٢٠٠.

(٢) منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني : ٦ كريمة محمد كريبة، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد : ١٣، ع : (١)، ٢٠١٧ .

(٣) النص، السلطة، الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة )لـ: د/حامد أبي زيد : ١٤٣، المركز الثقافي العربي، ط : (١)، ١٩٩٥ م .

(٤) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبي زيد : ٢٠٠.

(٥) السابق : ١٦٩ .

(٦) السابق : ٢٠٦ .

بمعنى أن دلالتها لا تنفك عن النظام اللغوي الثقافي الذي تعد جزءا منه، من هذه الزاوية تمثل اللغة ومحيطها الثقافي مرجع التفسير والتأويل" [١] .

_ "ومن النصوص التي يجب أن تعتبر دلالاتها من قبيل الشواهد التاريخية النصوص الخاصة بالسحر والحسد والجن والشياطين "[٢] .

_ "لا يجوز أن يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذي وقف عنده الوحي ؛ وإلا انهارت دعوى الصلاحية لكل زمان ومكان واتسعت الفجوة بين الواقع المتحرك، والنصوص التي يتمسك بها الخطاب الديني بحرفيتها"[٣] .

_"أن يعاد فهم النصوص بنفي المفاهيم التاريخية الاجتماعية الأصلية، وإحلال المفاهيم الأكثر الإنسانية وتقدما مع ثبات مضمون النص، إن الألفاظ القديمة لاتزال مستعملة لكنها اكتسبت دلالة مجازية"[٤] .

_ "فإن تطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز وتتضح هذه الحقيقة بشكل أعمق بتحليل بعض أمثلة من النص الديني الأساس وهو القرآن، فتتحدث كثير من آيات القرآن عن الله بوصفه ملكا له عرش وكرسي وجنود .... وكلها تساهم _ إذا فهمت فهما حرفيا_ في تشكيل صورة أسطورية عن عالم ما وراء عالمنا المادي"[٥] .

**وبعد.. فهذه النصوص نقطة صغيرة جدا من السيل الجارف لفكر أبي زيد العلماني الذي تجرأ به على قدسية الوحي، ومن مجموعها يتبين أن ملامح المنهج التأويلي العقلي عند الأنصاري حيال تأويل دلالة المفردة القرآنية تتمثل في:**

- القرآن الكريم نص لغوي، ومنتج ثقافي لا يستقل عن النصوص البشرية بربانية أو عصمة ،أو قداسة .

- ضرورة إخضاع الخطاب القرآني – بسماته التعبيرية الخاصة - لمطرقة المناهج

(١) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبي زيد ٢٠٦.
(٢) السابق : ٢١٢،٢١١ .
(٣) السابق : ١٣٣ .
(٤) السابق : ٢١٣ .
(٥) نقد الخطاب الديني : ١٣٥ .

التحليلية النقدية (التاريخية والتفكيكية والبنيوية) التي تتجافى في أدواتها الإجرائية مع طبيعة النص القرآني .

- قراءة النص القرآني قراءة هيرمينوطيقية بما تحمله من مرتكزات تنبو عنها الطبيعة الربانية للمفردة القرآنية، كموت المؤلف وتأليه القاريء الذي يغدو منتجا للنص لا كاشفا عن مضامينه المتوارية في ضوء قصد صاحبه .

- أنسنة النص القرآني، فهو وإن كان مصدره إلهيا فهو بمجرد خضوعه لقوانين الثقافة الإنسانية فهو قد تأنسن بهذه الحيثية، شأنه شأن أي نص ثقافي يخضع للمناهج الحديثة في قراءة النصوص كالهيرمينوطيقا، والسميوطيقا .

- إسقاط المناهج التاريخية والمادية والجدلية على تخريج المضامين الدلالية للمفردة القرآنية، مما يؤدي إلى:

_أرخنة النص القرآني من خلال الدعوة إلى تصور جديد لمفهوم فقه المسلم المعاصر فالأحكام التشريعية بهذه الأرخنة لا تعرف للثبات طريقا، بل هي نسبية متغيرة بتغير الواقع المعاصر، فلزاما على المؤول في التأويل الحداثي أن يأخذ في عين الاعتبار أن هذه الأحكام التشريعية مرتبطة بزمن ومكان نزولها، ولا أجد مسوغا لهذا إلا لإحكام قبضة الفكر العلماني على ناصية التشريع الإسلامي .

_نزع القداسة عن النص القرآني، وضرب الصفح عن خصوصيته المعجزة والتعامل معه فهما وتحليلا واستنباطا كأي منتج ثقافي بشري .

_نزع ثبوت الدلالة عن النص نهائيا، وجعلها متغيرة حسب ثقافة وفكر وتاريخ عصر القاريء .

**مآلات تسليط النزعة العقلية والتجافي عن النقل في التأويل العلماني**

الحداثيون العرب يرون في سلطة النص عائقا أمام حرية العقل وإبداعاته، فالآلة العقلية مقدمة على النقل مهما بلغ من صحة سند، وكان لذلك مآلات لا تحمد عقباها على الممارسة التأويلية، يمكن تحديدها في السطور التالية .

إن هيمنة العقل على النقل ،والتوسع في استدلالاته، والإيغال في تمجيده، وإيثاره بالإكبار والتبجيل في التأويل العلماني أفضى إلى مآلات، هي:

- أن العقل في قراءة أبي زيد هو وضع النص القرآني على محك النقد التاريخي، وفتح باب التفسير بالرأي على مصراعيه في الأصول والأحكام، وغض الطرف عن مصادر الاحتجاج السماعية، فالممارسة التأويلية اليزيدية ماهي إلا جهدا عقليا ذاتيا لتصورات القاريء ومفاهيمه وأفكاره .
- القراءة العلمانية تجعل أفق القاريء وإبداع المتلقي محور الفهم والمقاربة، وليس النص وقائله .
- أصبح الاجتهاد واستنباط الدلالة كلأ مباحا لكل راتع، فلا فرق عندهم بين محكم ومتشابه، وقطعي الدلالة وظني الدلالة، وبين ما يجوز فيه الاجتهاد ومالا يجوز، فالنص- على اختلاف مستوياته- على مسافة واحدة من القاريء العلماني .
- تحريف المضامين الدلالية للمفردات القرآنية التي تصطدم مع العقلية العلمانية، خاصة فيما يتصل بمسائل الغيبيات والعقيدة، وتخريجها على تأويلات بعيدة مستكرهة تعدل بها عن ظاهرها ومعانيها الإيمانية لتخرج من دائرة الأباطيل والأساطير – على حد زعمهم- وتستقيم مع التفكير العقلي المادي .
- إفراغ مدلول المفردات القرآنية من معانيها الشرعية من خلال إهدار دلالاتها المعجمية والسياقية، وتنزيل المصطلحات والمسميات الشرعية على مصطلحات حداثية، وصبها في قوالب تتساوق ومقولات الماركسية المادية.
- القطيعة الكبرى مع كل ما هو تراثي، فالدلالة المستنبطة من القراءة الحداثية في التيار العلماني مقطوعة الصلة بمرجعية التراث الإسلامي .
- تقويض السلطة التشريعية وإحكام قبضتها لإفساح المجال للقوانين الوضعية .
- حمل دلالة المفردة القرآنية على كل مصطلح عصري حادث بادعاء تطورها الدلالي، والتذرع بباب المجاز، ومن ثم إهدار دلالتها المعجمية والسياقية .

- تجاوز الأصول والثوابت التراثية المقررة الضابطة للممارسة التأويلية إلى المناهج الغربية وتوظيف علوم العصر ومعارفه المختلفة في فهم دلالة المفردة القرآنية.
- التفريق بين الوحي الشفهي والمدون في المصحف ،فهذا ليس ذاك في التأويل العلماني، فهذه المغايرة تؤدي إلى تغير آليات الفهم والاستنباط باعتبارين (خطاب شفهي ونص مكتوب) .
- التخلص من أي توجيه أو فكر إيدولوجي مسبق (ويقصد به المرجعيات التي يحملها المفسرون التراثيون من بواعث وشحنات إيمانية وقداسية للنص القرآن الكريم) فالقراءة التفسيرية المنتجة في نظر أبي زيد هو القائم على الموضوعية والحيدة والتنصل من أي وازع ديني يؤثر على فهم المفردة القرآنية، هذا على أساس أن المناهج الغربية غير مؤدلجة .

---

## المطلب الثاني

## أركون وقراءة النص الديني

القرآن الكريم ومصدره (الوحي) كانا السبيلين لنقد العقل الإسلامي عند أركون، فالتراث الإسلامي هو انعكاس للعقل الإسلامي وإرث السادة الأوائل الكرام، والقرآن الكريم هو مدار ومركز هذا الإرث الإسلامي، والوحي هو مصدر القرآن الكريم، لذا جاءت كتابات أركون منطلقة من مركزية هذا الإرث (القرآن والوحي والعقل الإسلامي) .

فالمطالع لكتابات أركون يجده يعرض عن أسماء القرآن الكريم المعهودة والمتواترة كالفرقان، والذكر، والكتاب، والتنزيل، والوحي "ويؤثر غيرهما مما نحتته أدبيات الحداثة ودوائر العلمانية، ومرجعيات اللاهوت المسيحي، وهذا الاختيار قصد إليه قصدا لطمس المصطلح القرآني، وتمييع إعجاز الوحي، وحشره في زمرة النصوص المحرفة"[(١)] ومن هذه الأسماء التي أطلقها أركون على القرآن الكريم لينزع عنه قداسته، وصفته الربانية، ويفرغه من فحواه الإيماني، ومضمونه العقدي، ما يلي:

١- (الخطاب النبوي) يقول أركون: "إن مفهوم الخطاب النبوي يطلق على النصوص المجموعة في كتب العهد القديم أي التوراة والانجيل والقرآن كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية والسيميائية للنصوص، لا إلى تعريفات وتأويلات لاهوتية عقائدية"[(٢)].

٢- (المدونة الرسمية المغلقة) ويعرفها بقوله: "مغلقة بمعنى أن القرآن كان مفتوحا وحرا قبل أظن يجمع ويسجن بين دفتي كتاب أو مصحف، ففي الفترة الأولى كانت هناك عدة نسخ، وعدة قراءات واختلافات، ثم منع كل ذلك بعد عملية الجمع الرسمي والإبقاء على بعض الروايات أو النسخ، وحذف بعضها الآخر، أو إتلافه، وهكذا تشكلت النسخة الرسمية والناجزة للقرآن"[(٣)] .

---

(١) النص القرآني من أفق التدبر إلى تهافت القراءة : ٢٢٩

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني : ٤٠

(٣) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي) لمحمد أركون : ٢٠٠، =

٣- (الظاهرة القرآنية) ويقول شارحا لها: "ما الذي أقصده بالظاهرة القرآنية ؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي التجلي التاريخي من خطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما، ألح هنا على الطابع الشفهي في البداية ؛ لأنه لم يكتب أو لم يدون إلا فيما بعد"[١] .

**ومهما يكن من أمر فإنه لا يخفى أن الألفاظ حاملة لمعانيها، دالة عليها تصريحا أو تلميحا، وقصد الترويج لهذه المسميات – المحملة بالفكر الأيدولوجي وبرعاية مناهج ألسنية وافدة – واستجلابها رغما عنها إلى بيئة مغايرة تماما، ثم إطلاقها على القرآن الكريم وترويجها في كتاباتهم إنما هو لخدمة مشروعهم العلماني الذي يسعى إلى:**

- نفي صفة الربانية عن القرآن الكريم، وتمييع تفرد نظمه الإعجاز .
- إفساح المجال الرحيب لتطبيق مناهج التحليل النقدي على النص القرآني من خلال إفراغ دلالة المفردة القرآنية من مضامينها الإيمانية .
- التشكيك في وثاقته النقلية، وإلحاقه بغير قائله، ومن ثم زعزعة عقيدة المسلمين.
- تغيير وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم من صفة التبليغ والتلقي إلى صفة التأليف والإنشاء والابتداع .
- تسوية النص القرآني بغيره من النصوص المقدسة (التوراة والانجيل) من خلال ادعاء "التماثل بين القرآن وكتب العهد القديم في الخصائص الدلالية والسيميائية لانصاب له في الحقيقة الشرعية والتاريخية ؛ ذلك أن القرآن احتفظ بلغته الأم ،أما الكتب المقدسة ففاقدة لنصها الأصلية ولغتها الأم، وما يوجد منه ترجمات ملفقة، فكيف يستقيم القول بالتماثل اللغوي والدلالي بين نصين متجافين لغة وصياغة وأسلوبا؟"[٢].

---

ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي ،- بيروت ، ط : (١)، ١٩٩٩م .

(١) قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟) لمحمد أركون : ١٨٦، ترجمة : هاشم صالح، دار الطليعة ،- بيروت .

(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢٣٠،٢٣١ .

- التعريض لفكرة تحريف النص القرآني من خلال دمجه في دائرة النصوص المحرفة، وعده نسخة منقحة من خلال دعوى الفصل بين مرحلتي البلاغ الشفهي والتدوين، فمذهب أركون أن تدوين النصوص الشفهية يفضي إلى إضاعة بعضها أو إزالتها عن وجهها وحقيقتها التي نزلت عليها، ويحتج لذلك بقاعدة ألسنية هي: "هناك أشياء تضيع أو تتحور في أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية"[1] .

**وسأعرض في الصفحات التالية مقتطفات من هذه النصوص المتناثرة في كتبه والتي تبين ملامح منهجه في قراءة النص الديني ودعائمه التي عول عليها في تأويل دلالة المفردة القرآنية، وتدور في مجملها حول عدة مرتكزات رئيسة، هي:**

- طمس مشاعر التقديس نحو كلام رب العالمين، بالتشكيك في وثاقته، وأرخنته، وأنسنته، وعقلنته، ونحت أسماء جديدة للقرآن الكريم محملة بأفكار أيدولوجية.
- إخضاع دلالة المفردة القرآنية لمناهج التحليل الأدبي النقدي والفلسفي والتاريخي .
- زحزحة المفهوم العقدي للوحي والمضامين الإيمانية الراسخة في عقيدة المسلمين .
- تبني رؤية جديدة مصطبغة بالفكر الغربي المادي من خلال إهدار الدلالة المعجمية والسياقية للمفردة القرآنية، وإنزال المصطلحات الشرعية على مصطلحات حادثة تصطدم مع المعاني الدينية العرفية لدلالة المفردة القرآنية.
- إحداث قطيعة كبرى بكل ماله صلة بالتراث الإسلامي بتهوين أمره والتشكيك في وثاقته، وعدم الاكتراث بالاحتجاج النقلي، وتأليه آلة العقل ،وتسليط أفق القاريء وهواه في الفهم والاستنباط والحجاج .

**ومن هذه النصوص التي رسمت هذا المنهج الإقرائي لأركون حيال النص الديني:**

_ نقده للنظم القرآني الكريم أسلوبا وتعبيرا وسياقا ومضمونا، فقال في معرض

(١) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل:٥٣ .

ذلك: "إن القرآن مدعاة للنفور بعرضه غير المنظم، واستخدامه غير المعتاد للخطاب، ووفرة إيحاءاته الأسطورية، والتاريخية، والجغرافية، والدينية، وذلك بتكراره، وانعدام ترابطه"[١] .

أركون الذي يستخدم اللغة الفرنسية لسانا لكتاباته ينتقد لغة القرآن أسلوبا ونظما ومضمونا ؟ أركون الذي يعجز عن استعمال العربية كتابة فضلا عن ارتياض خصائصها الأسلوبية والإلمام بقواعدها النحوية والصرفية والبلاغية - تحدثا وصياغة - يتهم لغة القرآن بعدم التنظيم والاضطراب في العرض ؟ النص القرآني الكريم المعجز يتهمه أركون بعدم ترابطه وتماسكه ؟؟ لغة القرآن الكريم التي عجز أرباب الفصاحة وزعماء البيان من كفار قريش عن أن يأتوا بمثلها يأتي أركون الآن وينال منها ؟ نظم القرآن الذي وصفه كفار قريش - وهم من هم فصاحة وبلاغة وبيان - بأنه يعلو ولا يعلى عليه يسمه أركون اليوم بأنه مدعاة للنفور؟

ولا أجد ما أقوله هنا سوى أن ما " كان حظه منقوصا في لغة الوحي نحوا وصرفا وبلاغة، لا يتاح له تذوق أسرارها، واستجلاء إعجازها، وتبين منازع تصرفها في القول، وإذا كان الضعف اللغوي مجلبة للنقص، ومدعاة للإزراء في غالب الظروف، ومطرد الأحوال، فإنه جريرة لا تغتفر في حق من ينتصب لتفسير القرآن؛ بل هو أعظم من الجريرة في حق من ينتقد على القرآن نظمه وصوغه، وتصرفه في منازع البلاغات "[٢].

_ عدوله عن مصطلحي التأويل والتفسير إلى مصطلح القراءات ،كخطوة أولى نحو تحقيق مشروعه الفكري الحداثي الذي يأسس على مبدأ التعددية الدلالية، ولا نهائية المعنى، وجعل باب الاجتهاد كلأ مباحا لكل راتع ، ونصه في ذلك: "كنت قد شرعت بهذا العمل شخصيا تحت عنوان مزدوج: (قراءات في القرآن) مع الإلحاح على فكرة التعددية في كلمة قراءات"[٣] .

_ وبعد الدعوة إلى قراءة النص القرآني قراءة متعددة تتميز بالإنتاج الدائم

(١) ينظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢١٩ .
(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٢١٩ .
(٣) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد لأركون : ٥، ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط : (٦)، ٢٠١٢م .

والمستمر للتأويلات المفتوحة، يرشد القاريء إلى المنهج التأويلي الذي يتوسل به في فهم وتقريب النصوص الدينية فيقول: "ولكننا نعلم أن القرآن كنص سيظل مستغلقا، وغير مفهوم حتى بالنسبة للمؤرخين أو المثقفين الأكثر تخصصا وتبحرا في العلم، فما بالك بجمهور المؤمنين ؟ ولا أحد يفكر في شرحه أو تفسيره على ضوء المناهج الحديثة من أجل تقريبه من الأذهان والعقول"[١] ومن هنا "تعد الهرمينوطيقا الجدلية عند غادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب ؛بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره حتى الآن"[٢] وفق مناهج التحليل الأدبي الغربية ،والعلوم الإنسانية الحديثة.

- ثم يسوي أركون هنا بين النصوص المقدسة والقرآن الكريم في إخضاعها جميعها للنقد الفيلولوجي وتجارب البحث العلمي، قائلا: "إن التجديد المعرفي والابستمولوجي الذي أقترح مده لكي يشمل التراث الإسلامي كان قد طبق سابقا على التراث اليهودي والمسيحي، ولكن هذا التأجيل لايزال يؤجل ويرفض، بل ويحرم عندما يتعلق الأمر بإدراج الوحي نفسه داخل برنامج البحث"[٣] .

فهذه دعوة صريحة لإعادة قراءة النص القرآني وفق قراءة ألسنية سيميائية كما حدث للإنجيل والتوراة، وليس له من سبيل لبلوغ ذلك إلا بتحرير دلالة المفردة القرآنية لهذه المناهج الغربية، فإنها لخير محرر له من القراءة التقديسية والتبجيلية التي غذاها المفسرون الأوائل في نفوس المسلمين، فيرى سيادته أن "إن للقراءة الألسنية قيمة لا تضاهى من حيث التقشف والدقة والصرامة، فهي تجبرنا على أن نظل محصورين داخل الحدود الصارمة للإمكانيات التعبيرية للغة مع استيعاب كل المفترضات الصريحة والضمنية"[٤] فقراءة القرآن من خلال إسقاط أسس وأدوات

(١)قضايا في نقد العقل الديني لأركون : ٥٩.
(٢)إشكاليات القراءة وآليات التأويل لنصر حامد أبي زيد : ٤٩ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط : (١)، ٢٠١٤م .
(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني :٣٠
(٤) السابق : ١١٢ .

المناهج الفلسفية والتاريخية والأدبية النقدية والألسنية والسيميائية الغربية التي تتسم بالحيدة والصرامة – من وجهة نظر أركون – تعطي القاريء دلالات خالية من هذه المضامين الإيمانية (التبجيلية) التي رسخها المفسرون الأوائل في عقيدة المسلم، إذ "إن مفهوم الوحي في السياق القرآني قبل انتشار المصحف الرسمي المغلق[يقصد مصحف عثمان رضي الله عنه] كان أكثر اتساعا من حيث الآفاق والرؤية الدينية ؛ مما آل إليه بعد انغلاق الفكر الإسلامي داخل التفسير التقليدي الموروث عن الطبري ومن نقل عنه إلى يومنا هذا "[1] وعلل أركون ذلك بانفصال المفسرين والفقهاء عن القراءة التاريخية للوحي[قصر آيات الأحكام على زمن نزولها] واكتفوا بالقراءة اللاهوتية الأرثوذكسية [إعطاء المفسرين القرآن قدره من التقديس والتعالي والهيبة الروحية واللامساس بتعاليمه وأحكامه وعقائده والإيمان والتسليم المطلق لها] وبذلك حول هؤلاء الطائفة من رجال الدين استأثروا بتفسير الوحي أو النصوص التأسيسية [مصدري التشريع القرآن والسنة] الخطاب النبوي [يقصد القرآن] المحتمل والمنفتح على معان ودلالات متعددة بسبب طبيعة اللغة الاشتقاقية والمجازية إلى قوالب جامدة وقسرية .

فهذه دعوة صريحة لضرب الصفح عن التفسير التراثي (التقليدي /الأرثوذكسي/ التأسيسي) على حد تعبيره ونقد العقل الإسلامي كله، وإحلال القراءات الحداثية بديلا عنها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التعامل مع النص القرآني على أنه نص بشري كغيره من النصوص الأدبية، وهدم كل ما يتعلق بالميتافزيقا- الثوابت الإيمانية الراسخة في عقيدة المسلمين- التي توجه كل تحليل أنماط الخطاب القرآني ومعانيه بالمنهج السيميائي الذي يقوم في الأساس على دراسة العلامة الدلالية وربط النص بالواقع، ومحله في باديء نشأته الحكاية الشعبية والسرد القصصي بصفة عامة .

_ درج أركون على التشكيك الدائم في وثاقة نقل النص القرآني ،فراح يروج لدعوى الفصل بين المصحف (النص المدون) والوحي أو القرآن المنزل (الخطاب الشفهي وقت نزول الوحي) في إشارة إلى وجود تحريف في النص الأصلي للتباعد بين فترتي التنزيل والتدوين، فدائما ما كان يردد عبارة تشكيكية،

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: ٩.

وهي: "بحسب ما يقول التفسير الموروث" وطبعا لا يخفى من فرق دلالي إيحائي شاسع بين التعبير بالتراث والتعبير بالموروث .

_ إخضاع قراءة النص القرآني الكريم لدراسة المنهج النقدي الاستشراقي (الفينولوجي) وهو منهج تحقيقي نقدي من فروع علم اللغة، هدفه دراسة النصوص اللغوية من حيث صحتها ونسبتها إلى قائلها، ولا يتأتى ذلك إلا بنزع صفة الربانية عن النص القرآني، والتعامل معه كنص لغوي بشري مثلما حدث مع النصوص المقدسة الأخرى (التورة والإنجيل) التي دونت بعد مرور فترة من وقت نزولها، فتعرضت للترجمة والتحريف، غير آبه هذا العلماني بالفرق بين هذه النصوص المقدسة وخصوصية النص القرآني المحفوظ بعناية ربانية، فقال:

يجب "القيام بمراجعة جذرية لمفاهيم الوحي، وكلام الله، والنص المقدس، والمعصومية والهيبة الروحية، والتنزيه أو التعالي "[1] وفي موضع آخر قال ما نصه: "وأقول بأنه يتيح لنا أن نلقي إضاءة جديدة، فليس فقط على النص القرآني، وإنما أيضا على كل النصوص الدينية التأسيسية الأخرى كالتوراة والانجيل، فهي لم تكتب إلا بعد مرور فترة على وفاة موسى وعيسى، وعندئذ لا نعود نكتفي بالبحث عن مدى صحة المقاطع المنقولة، كما يفعل النقد الفيولوجي الاستشراقي، وإنما نصبح نطرح الأمور من زاوية أوسع بكثير، ويصبح همنا التالي هو تحديد المكانة المعرفية للمعنى المنتج على المستوى اللغوي والتاريخي للخطاب الشفهي والتمييز بينهما وبين المكانة المعرفية للخطاب المدون أو المكتوب، وهذا شيء يعرفه علماء الألسنيات"[2].

والبحث هنا ليس بصدد سوق الأدلة النقلية والتاريخية والعقلية على وثاقة نقل النص القرآني، فلرد هذه الشبهة مظانها، حتى لا يخرج البحث عن مساره الذي أقيم له .

_ ما جاء به من دعوى أرخنة النص القرآني، وهذا المرتكز هو الغاية الأساسية

(١) الإسلام، أروبا، الغرب (رهانات المعنى وإرادات الهيمنة) لأركون :٧٨ ، ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي – بيروت، ط : (٢)، ٢٠٠١م .
(٢) قضايا نقد العقل الديني :١٨٨ .

من هذا المشروع الحداثي، والذي يكمن في تقويض تعاليم الإسلام من أحكام وعبادات وتشريعات وقصر مضامينها على زمن نزولها، وفرض هيمنة القانون الوضعي كبديل عن سلطة الشارع الحكيم جل في علاه، فقال: "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي، ألا وهي تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة "[١] وفي السياق ذاته قال في موضع آخر: "والمقصود بالتاريخية هنا التحول والتغير، أي تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان، أما الإيمان فيبقى، ولكن يتخذ تجليات مختلفة ومتحولة أيضا"[٢].

ومن ثم فإن القراءة التاريخية عند أركون، هي قراءة موصولة بزمان ومكان النص وسياقه الاجتماعي والثقافي والسياسي والتي تجعل النص القرآني لا يعدو أن يكون نتاجا للظروف الاجتماعية والثقافية التي أسهمت في تشكيله، فلا يلزم العمل بالفرائض والأحكام التشريعية لأنها خاصة بمن نزلت عليهم فقط .

**هذا ومن جميع النصوص السابقة التي رسمت الملامح المنهجية حيال قراءة أركون للنص الديني فهما واستنباطا وإحالة، يمكن القول بأن المادة التي شكلت كتاباته النقدية للوحي والتراث الإسلامي، وكذا الخطوط العريضة التي أقام عليها أركون مشروعه الإقرائي تتمثل في:**

_ جعل دلالة المفردة القرآنية لانهائية المعنى، مفتوحة على جميع التأويلات التي تخضع لهوى القاريء ومتطلبات عصره دون ضابط يحميها من الانحراف الدلالي، والتأويل الفاسد .

_ القطيعة مع التفاسير التراثية التي حملت فهم الرعيل الأول من الصحابة ومن تبعهم من التابعين وتابعي التابعين، وإحلال الفكر الماركسي المادي والمناهج الغربية بديلا محايدا عنها.

_ الدعوى إلى عدم إسقاط أي فكر إيدولوجي مسبق يوجه تفسير دلالة المفردة

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية : لأركون :٢١٢

(٢) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي لأركون : ٢٧،٢٦ ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي – – بيروت، ط : (١) ١٩٩١م .

القرآنية في الوقت الذي يبيحون لأنفسهم إسقاط أسس ومبادئ الهيرمنيوطيقا على فهم وتحليل دلالة المفردة القرآنية .

_ التمييز بين الخطاب القرآني الشفهي والنص المدون، ونحت أسماء جديدة تنزع عنه قدسيته وصفته الربانية بهدف التشكيك في وثاقة نقل النص القرآني.

_ تصيير القرآن الكريم نصا لغويا صرفا، تنطبق عليه القوانين اللغوية من خلال إخضاعه لمناهج التحليل الألسني .

_أرخنة النص القرآني وجعله مساوقا للتغيرات التي تطرأ في كل زمان ومكان، وإذا ما تم له ذلك سهل عليه إعادة قراءته وتشكيله من جديد، وتقويض سلطته التشريعية بعد قطعه عن التفاسير التراثية الأصيلة .

---

## المطلب الثالث

## محمد شحرور وقراءة النص الديني

ألف شحرور كتابا يحمل عنوان: (الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة) [1] وبنظرة عجلى في الدلالة التي يحملها هذا العنوان، نجده يحمل المضامين الإيحائية التالية:

- الفصل الدلالي بين مصطلحي الكتاب والقرآن، على ما تقتضيه واو العطف من معنى المغايرة .
- الدعوة إلى إعادة فهم دلالة المفردة القرآنية فهما معاصرا، بما تحمله المعاصرة من توجه عولمي محمل بفكر أيدلوجي، وفلسفة جدلية ماركسية، ومنحى عقلاني متحرر وإسقاط على مناهج تأويلية هيرمونيطيقية .
- إيثار مصطلح قراءة بديلا عن مصطلحي التفسير والتأويل دعوة للتحرر من الضوابط المقعدة للممارسة التأويلية التي التزمت بها التفاسير التراثية .
- تنكير القراءة وإطلاقها يوحي بالكثرة والتعدد، وفتح باب التأويل على فضاءات واسعة يحل فيها أفق القاريء وتأويلها الذاتي محل مراد المتكلم .
- عدوله عن مصطلحي التأويل والتفسير إلى مصطلح القراءة المتحررة من الضوابط المرجعية التي يتسم بها المصطلحين الأولين .

### المسالك اللغوية التي عول عليها شحرور عند تأويله لدلالة المفردة القرآنية

اتكأ شحرور على بعض المسلمات اللغوية التي حرف مساراتها ؛ ليمرر بهذه المسالك اللغوية المحرفة تأويلاته لمضامين دلالة المفردة القرآنية، ويضفي عليها طابع الشرعية والمصداقية، وتكمن تلك المسالك اللغوية في:

### أولا: إنكار الترادف:

في سبيل تطبيق أفكار الماركسية المادية على تحقيق دلالة المفردة القرآنية سلك شحرور المنهج اللغوي التشطيري، وهو منحى تأويلي يعتمد على التشطير والتبعيض والتقسيم غير المستساغ للمفردات القرآنية المترادفة – جزئيا- أو المتواردة

(١) للدكتور المهندس / محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د. ط، د.ت .

على معنى واحد – على حد تعبير الأصوليين – أو المترادفة ترادفا غير/شبه تام – بتعبير اللغويين المحدثين – وصرفها عن الدلالة العامة الجامعة لهذه الألفاظ المترادفة (جزئيا أو سياقيا) كل ذلك في محاولة من الرجل أن يصب دلالات المفردة القرآنية في قوالب ماركسية جاهزة، وهي "أضيق من أن يسعها، فلما أعوزته الحيل، وبرّح به التفكير، امتطى مطية نفي الترادف، حتى يتم له تقسيم القرآن إلى أقسام متنافرة، وأشطار شتى، فالقرآن غير الكتاب، والفرقان غير الذكر، والتنزيل غير الإنزال..... وهلم جرا وبسطا"[(١)] .

**وقبل مناقشة الرجل في هذا المنهج التشطيري أود أن أجمل آراء اللغويين في مسألة وقوع الترادف في اللغة والقرآن، وهي على النحو التالي:**

قضية الترادف من الظواهر الدلالية التي شغلت بال اللغوين بصفة خاصة وغيرهم ممن انشغل بالبحث في دلالة الألفاظ بصفة عامة، فعالجوا قضاياه، وفصلوا القول في أسباب وقوعه، وعرضوا لألفاظه الممثلة له بالتحليل والتعقيب ،.. وإنما جاء هذا الاهتمام من قبل هؤلاء بقضية الترادف وغيرها من الظواهر الدلالية الأخرى من قبيل أن الوقوف على دلالة اللفظ كان ولا يزال ركيزة هامة من ركائز البحث في دلالة النص والوقوف على مراد المتكلم، وفحوى الخطاب .

**ويطلق الترادف على تلك:** "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[(٢)] .

والذي يهمني في هذا المقام قيد وحدة الاعتبار؛ إذ يخرج بذلك الألفاظ المتزايلة، وهى التي تدل على شيء واحد ولكن بينها اعتبارات مختلفة، كالسيف والصارم، والخمر والراح والخوف والخشية .

وللعلماء ثلاثة مذاهب في وقوعه في اللغة والقرآن الكريم، الوقوع مطلقا، والمنع مطلقا، والتفصيل .

فالذي أثبته في اللغة استند على أن كتب اللغة ملأى بتلك الألفاظ التي تدل على معنى واحد، أي أنهم عولوا في إثبات الترادف على الواقع اللغوي والمعجمي،

(١) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٣١٤ .
(٢) البحر المحيط : ٤٧٤/١.

وهو استناد معتبر وعملي مشاهد دل عليه ظاهر الحال .

أما حجة المنكرين لوقوعه، فتكمن في أن " وَضْعَ اللَّفْظَيْنِ لِمَعْنًى وَاحِدٍ عِيٌّ يَجِلُّ الْوَاضِعُ عَنْهُ "[1] وإلباس لا يتناسب مع إحكام هذه اللغة، وعبث تصان عنه، فالأصل في الوضع أن يكون لكل لفظ – حال إفراده - دلالة معجمية خاصة به، وراح هؤلاء المنكرون يتلمسون الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ المترادفة .

وأما عن هؤلاء الذين فصلوا القول في المسألة، فيرون أن الترادف لهجي، حيث يقع في لغتين لا في لغة واحدة[2] أي يقع من واضعين لا من واضع واحد، ثم جاء جماع اللغة فرووا عن الواضعين دون تمييز أو نسبة – في كثير من الروايات- فكان ما كان من وقوع هذا الكم الهائل من الألفاظ المترادفة في كتب اللغة .

**والبحث على أن** الترادف من الممكن بشيء من التسامح أو التجوز- أن يتسع ليشمل تلك الاستعمالات المجازية المتعددة في اللغة والقرآن، والتي تؤدي إلى تقارب المعنى أو توحده –أحيانا- لبعض الألفاظ، وإلا لخرجت تلك الأمثلة جميعها من دائرة الترادف التام – بمفهومه الذي يقتصر على تلك الألفاظ الدالة على شيء واحد باعتبار واحد – إلى دائر ة الترادف الجزئي أو غير التام؛ لاتفاق معاني بعض الألفاظ في بعض السياقات دون بعض.

**ومما ينبغي التنبيه إليه هنا** هو أن كثرة وجود ألفاظ تدل على شيء واحد في مواضع كثيرة من كتب اللغة يرجع إلى أن الاعتبارات الخاصة بكل منها قد تنوسيت بكثرة الاستعمال وطول العهد، وإلا فإن الأصل أن يكون لكل لفظ ملحظ واحد يميزه عن غيره بيد أن هذه الفروق سقطت بكثرة الاستعمال كما الحال في المجازات المنسية، **وعليه فإن مجمل القول ما يلي:**

- أن إمكانية تبادل الألفاظ المترادفة في جميع السياقات شرط أساس للقول بالترادف، أما التناوب الجزئي بينها لاشتراكها في جزء من المعنى في بعض السياقات دون بعض لا يعني أنهما مترادفان، بل على المفسر الانتباه لذلك، ومراعاة الاعتبارات الخاصة بكل لفظ وسياقاته .

(١) البحر المحيط : ٤٧٤/١.
(٢) نقل الزركشي هذا الرأي عن الأصفهاني، ينظر البحر المحيط : ٤٧٥/١.

- أن يقع الترادف – بشيء من التجوز- في حالة إحلال لفظ – حال تركيبه- محل آخر لمعان متقاربة ينتظمها دلالة محورية عامة، كما في الاستعمالات المجازية والاشتقاقية .

- أن الاستعمال اللغوي للناطقين وما ينتج عنه من تساهل في مراعاة الفروق الدقيقة بين الألفاظ قد يكون السبب الأعظم في حدوث الترادف في اللغة والعامل الأكبر وراء هذا الركام الهائل من المترادفات التي ذكرت في كتب اللغة لذلك يجب مراعاة الدلالة الأصلية لكل لفظ منها ؛ إذ إن كل لفظ يختص في أصل الوضع بدلالة واحدة فقط.

**أما الشروط[1] التي وضعها المحدثون ليكون الترادف تاما، هي:**

- التطابق الكلي في جميع استعمالات المادة .
- إمكانية التبادل بين الألفاظ المترادفة في جميع السياقات.
- الاتحاد في بيئة تلك الألفاظ وكذلك العصر.
- انتفاء مظنة التطور الصوتي.

والترادف بهذه الصورة التي تتحقق فيها تلك الشروط يكاد يكون معدوما، أو نادر الوقوع أما شبه الترادف أو الترادف الجزئي فيتمثل في تلك الألفاظ التي اتفقت معانيها في جانب من المعنى .

وبالرجوع إلى الأستاذ شحرور يجد البحث أنه – على غير المتوقع - ينتصر للفريق القائل بإنكار الترادف في اللغة، ونصه في ذلك "فوجدنا أن أنسبها هو معجم مقاييس اللغة لابن فارس تلميذ ثعلب الذي ينفي وجود الترادف في اللغة"[2].

ولكن موقف الرجل هنا يثير في نفسي تساؤلا .... فما عهدته من الرجل أنه كأقرانه من أصحاب القراءة الحداثية وديدنهم في التنكر لكل ماله صلة بالتراث،

(١) دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان : ٩٧ ترجمة د/ كمال بشر، مكتبة الشباب، وينظر: علم الدلالة : ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) الكتاب والقرآن : ٤٤ .

والتبجيل والإكبار لكل ما هو حداثي غربي ... فلماذا هنا يقوِّمُ قول من ذهب إلى إنكار الترادف؟ ولماذا آثره بالاختيار دون غيره ؟ وكان ظني بالرجل – على ما عهدته من أصحاب الفكر العلماني – أن يؤثر المذهب القائل بالترادف، ويدلف به للطعن على القرآن ورميه -جهلا - بالعبثية والفوضى وعدم الإحكام - تعالى كلام الله عن ذلك علوا كبيرا - ... ولكني به يؤثر مذهبا يسعى القائلون به لإثبات إعجاز اللغة وتفردها ودقتها وإحكامها في وضع كل لفظ لدلالة تخصه وحده دون غيره، مراعيا الفروق الدقيقة والاعتبارات الدلالية الخاصة بكل لفظة.

**فيا ترى ماذا في قبعة الرجل وراء انتصاره لهذا المذهب ؟؟؟**

**ثانيا: التطور الدلالي:**

اللغة صورة حية، ومرآة صادقة لحياة ناطقيها، وانعكاس لمجموعة من العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية التي تلم بالمجتمع، فاللغة والمجتمع صنوان لا يفترقان، والعلماء على وقوع التطور اللغوي لدلالة بعض الألفاظ كانعكاس بدهي لسنة الله في الكون، وحده اللغويون بـأنه "ذلك النوع من التغير الذي يصيب معاني الألفاظ في لغة ما عبر عصورها المختلفة متى توافرت الدواعي أو الأسباب التي تؤدي إلى ذلك "[1] **وهذا يعني أن:**

- التطور الدلالي يحدث تدريجيا عبر عصور مختلفة .
- التطور الدلالي له أسباب معتبرة تدعو إليه، قد تكون متعمدة ممنهجة كما الحال في المجامع العلمية، أو تلقائية طيعة دون تدخل من أحد، وفي الحالتين يخضع التطور لإجراءات مقننة ومعلومة، وله صور لا يخرج عنها، تتمثل في:

١_ تضيق دلالة اللفظ فتتحول من دلالة عامة إلى دلالة خاصة مقصورة على بعض أفراد العام دون بعض، ويطلق اللغويون على هذه الصورة مسمى (تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى) .

٢_ (تعميم المعنى أو توسيع مجال الدلالة) وتحدث تلك الصورة عندما ينتقل التغيير باللفظ من معناه إلى معنى أوسع منه، فبدلا من أن يدل اللفظ على

(١) في الدلالة اللغوية : د/ البركاوي : ٩٢ .

معنى جزئي محدد، أصبح يدل على معنى أكبر وأوسع مما كان عليه قبل ذلك.

٣_ هجر الدلالة والانتقال بها إلى معنى آخر، وهذه الصورة من التغير الدلالي يسميها اللغويون (انتقال مجال الدلالة) ويكون ذلك في " حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب، أو من العلاقة الدالة على الشيء إلي المدلول عليه، ... إلخ، أو العكس" [(١)] هذا الانتقال في مجال الدلالة يقوم على علاقة مجازية، هذه العلاقة قد تكون لغير المشابهة كما في المجاز المرسل، وقد تكون تلك العلاقة قائمة على المشابهة كما في الاستعارات .

ولتمام الفائدة تجدر الإشارة إلى أن هناك صورتين للتغير الدلالي ذكرهما اللغويون[(٢)] وهما: (رقي الدلالة، وانحطاطها) وهما مظهران من مظاهر التغير الدلالي يصيبان الكلمات ذات المعاني الوضيعة أو الشريفة ، فتسمو الدلالة وترتقي في دلالات بعض الألفاظ، بينما تنحط في دلالات أخرى، ومن الممكن أن ينضويا تحت مظهري التعميم والتخصيص.

**وبالوقوف على تحقيق شحرور للمفردات القرآنية نجده اتخذ من هذا المسلك اللغوي (التطور الدلالي) سبيلا للانحراف الدلالي لمعاني المفردات القرآنية، وسبيله من هذا الباب واحد من أربعة:**

- تقويض دلالة المفردة القرآنية وإهدار دلالتها المعجمية، والانحراف بها عما وضعت له في أصل اللغة بحجة ضرورة مواكبة المستجدات العصرية .

- تحريف دلالة المفردة القرآنية المعجمية أو السياقية بما يتساوق ومناهج التحليل الغربي ،والفلسفة الماركسية المادية.

- ادعاء هجر الاستعمال اللغوي الأصلي للمفردة القرآنية، وتنزيلها على مصطلح حادث .

---

(١) اللغة لفندريس : ٢٥٦ .

(٢) ينظر تفصيل القول فيهما : دلالة الألفاظ لـ : د/ إبراهيم أنيس : ١٥٦وما بعدها، في الدلالة اللغوية لـ : د/ البركاوي :١١٥ .

**وبنظرة عجلى في هذه المناحي يتبين أن** صنيع شحرور لا يمت بصلة للتطور الدلالي السائغ عند اللغويين، فهجر الاستعمال الأصلي للكلمة، وإحلال مدلول جديد محل المهجور، مع عدم مراعاة مناسبة أو أدنى علاقة بين المعنيين الأصلي (المهجور) والمتطور لا وجود له في العربية، حتى في الصورة الأخيرة من صور التطور الدلالي (انتقال الدلالة) يراعى فيها وجود علاقة (مشابهة/غير مشابهة) بين المعنيين المهجور والمنتقل إليه، أما وأن ينسخ المعنى الأصلي ويحل معنى آخر محله ولا يوجد ثمة علاقة تسوغ هذا الانتقال فهذا يسمى انحرافا دلاليا، وعبثا تصان عنه هذه اللغة المحكمة .

**ثم إن صرف اللفظ عن دلالته المعجمية الأولى لدلالة أخرى (سياقية/مجازية) لابد أن يكون من خلال قرينة معتبرة صحيحة تنهض بهذا الصرف، أما الانتقال العشوائي الذي يسلكه العلمانيون ويدعون إليه فلا يندرج تحت باب التطور الدلالي أصلا، وإنما هو عين الانحراف الدلالي، وإهدار الدلالة المعجمية للمفردة القرآنية، وإلا فإن التطور الدلالي السائغ سبيله واحد من ثلاث:**

- السماع من خلال الروايات التي امتلأت بها بطون كتب اللغة .
- المجامع اللغوية المنوط بها هذا الأمر .
- وجود قرينة معتبرة صارفة عن هذا الانتقال .
- علاقة (تعميم أو تخصيص أو مشابهة) بين المعنيين الأصلي والمتطور .

وماعدا هذه السبل المشروعة في معرفة التطور الدلالي للألفاظ، فإنه يدخل في دائرة الانحراف الدلالي، والانتقال العشوائي الذي يجر إلى سوء الفهم، وفساد التأويل، وانحراف القصد، وإهدار الدلالة المعجمية للفظ، فطبيعة اللغة ذاتها تنأى بنفسها عن الإطار الصوري الجامد إلى تجدد المعاني من خلال الظواهر الأسلوبية التي تتميز بها تلك اللغة المحكمة، ولكن في أطر ضابطة لهذا التطور، وليس كما يقول حامد الأنصاري: "والأمثلة كثيرة على إصرار الخطاب الديني على استخدام اللغة القديمة وإحيائها طردا للغة الحية المعبرة عن الواقع ؛ وذلك لتغييب الواقع لحساب الحياة في الماضي"[(١)] .

(١) نقد الخطاب الديني :٢١٤ .

**ثالثا: الاحتمال الدلالي للألفاظ (طواعية الألفاظ وقابليتها للتعدد الدلالي)**

هذه الظاهرة الدلالية خصيصة من خصائص المفردة القرآنية، وسمة من سماتها التعبيرية، وتعني تحمل اللفظ لأكثر من وجه من وجوه المعنى لأسباب سياقية لغوية أو غير لغوية، فالألفاظ تتعرض بسبب التركيب، وورودها في سياقات مختلفة إلى وجوه كثيرة من التغير الدلالي، فالسياق القرآني كثيرا ما يحمل اللفظة أكثر من وجه دلالي، هذه الأوجه الدلالية المتعددة ضابطها النظر في القرائن ومقتضيات الأحوال والمقامات ،وسبر موارد استعمالات تلك المفردات القرآنية، واسترفاد دلالة نظمها في مساقاتها المتعددة عند تحقيق مفرداتها، كل ذلك وفق مراد الشارع ومقاصد التنزيل .

**وقد تذرع أصحاب التأويل الفاسد والمنحرف بهذه السمة التعبيرية في تأويل دلالة المفردات التي اصطدمت دلالتها مع فكرهم العلماني، وسبيلهم في ذلك:**

- التوسع في المجاز بشكل فج، إذ تذرع أصحاب التيار العلماني بباب المجاز في الانحراف بدلالة المفردة القرآنية، وصرفوا اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر من دون وجود قرينة صحيحة تسوغ هذا الصرف، فأفرغوا دلالة المفردة القرآنية من معانيها الإيمانية، وانحرفوا بدلالتها إلى معان تتساوق وقوالبهم الماركسية .

- إهدار دلالة السياق القرآني وتحويله إلى رموز وشفرات عصية على الفهم من خلال ربط النص بواقعه، وتفسيره بخصوص أسبابه لا بعموم ألفاظه، ومن ثم الانحراف بدلالة المفردة القرآنية عن غير مراد الله عز وجل، وصبغها بالصبغة العصرية البعيدة كل البعد عن القصد التشريعي .

---

## المطلب الرابع

## نماذج تفسيرية لأصحاب القراءة الحداثية

وفي الصفحات التالية يسوق البحث نماذج من تأويل شحرور وأركون والأنصاري لدلالة المفردة القرآنية، وذلك على النحو الآتي:

**(الحسد):**

يقول حامد الأنصاري: " ... ومما له دلالته أن السورة التي تتحدث عن السحر والحسد حديثا تفصيليا سورة مكية هي سورة الفلق، حيث تتضمن إشارة إلى "النفاثات في العقد" وإلى شر الحسد والحاسد، فيما عدا هذه السور نجد أن كلمة الحسد استخدمت استخداما مجازيا، فقد وردت في سور البقرة .....، وتأتي في سياق مشابه والدلالة المجازية نفسها في سورة النساء .....، وكذلك الفتح..... تلك كل المواضع التي وردت فيها الكلمة في القرآن، ثلاثة منها بالمعنى المجازي المستخدم اليوم في لغتنا الحية، وموضع واحد بالدلالة الحرفية المرتبطة بنسق من العقائد والتصورات شبه الأسطورية القديمة"[(١)] .

ثم يستطرد قائلا: "ومن النصوص التي يجب أن تعتبر دلالتها من قبيل الشواهد التاريخية النصوص الخاصة بالسحر والحسد والجن والشياطين، وقد حاولت بعض التفسيرات الحديثة والعصرية تأويل الجن والشياطين على أساس من معطيات علم النفس .... السحر والحسد والجن والشياطين مفردات في بيئة ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعي الإنساني " [(٢)].

ويرى أبوزيد أن آيات السر الحسد والجن والشياطين من قبيل القص التاريخي التي ارتبطت بظروف تاريخية معينة وعفى عليها الأثر، ونصه:" ومما له دلالة أن كل الإشارات القرآنية إلى السحر إنما وردت في سياق القص التاريخي، بمعنى أن النص يتحدث عنه بوصفه شاهدا تاريخيا ،.... ويرى علم اللغة الحديث أن المفردات اللغوية لا تشير إلى الموجودات الخارجة ولا تستحضرها، ولكنها تشير

(١) نقد الخطاب الديني :٢١٢ .
(٢) السابق : ٢١٣،٢١٢ .

إلى المفاهيم الذهنية، لذلك قد تشير اللغة إلى مدلولات ليس لها وجد عيني، وفي اللغة العربية دوال لغوية مثل كلمة "العنقاء" ليس لها مدلول عيني واقعي، والذين يستدلون على وجود ظواهر السحر والحسد بوجود الألفاظ الدالة عليها في الذهن الديني يقعون في خطأ التسوية بين الدال والمدلول، ويقعون في التسوية التراثية القديمة بين مستويات الوجود العيني والذهني واللغوي"[1] .

**تحليل ومناقشة:**

**من مجموع النصوص السابقة لأبي حامد زيد الأنصاري يقف البحث على ما يأتي:**

- يقرر أبو زيد أن دلالة الحسد في سورة الفلق دلالة حقيقية مرادفة بذلك دلالة السحر، وجميع هذه الدلالات من الأساطير والتصورات الذهنية التي نضحت بها طبيعة العربي آنذاك .
- يقرر أبو زيد أن دلالة لفظة الحسد وردت في سورتي النساء والفتح بالمعنى المجازي
- يرجع أبو زيد سبب اختلاف الاستعمال القرآني لمساقات ورود اللفظة، فنزول اللفظة في مكة أكسبها هذه الدلالة الحقيقية، أما نزولها في المدينة فأكسبها تلك الدلالة المجازية .
- يدخل المضامين الغيبية في حيز القصص التاريخية .
- يقصر مضامين دلالة المفردة القرآنية الخاصة بالحقائق الغيبية على زمن نزولها.
- يرى أن لغة القرآن وتفسير دلالتها يخضع لتطور الوعي الإنسان .
- لغة القرآن عند أبي زيد تنقسم إلى قسمين: لغة قديمة أسطورية جادت بها قريحة العربي انمحت وعفا عليها الأثر، ولغة مجازية حية تتناسب والواقع الحياتي المعاصر، وتلك هي التي يجب أن يفسر عليها القرآن .

هذا وبالنظر في تحرير أبي زيد للفظة (الحسد) يبدو أنه خلط بينها وبين معنى (السحر والجن والشياطين) حيث ربط معنى الحسد في سورة الفلق بسبب

(١) نقد الخطاب الديني :٢١٣ .

ورودها وهو-"قِصَّةُ سَحَرَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ رَسُولَ ﷺ"[١] .

**والذي يقوي في نفسي هذا الاستنتاج** أنه فسر الحسد في سورة الفلق بالمعنى الحقيقي الذي لم ينص عليه، وفسره في الموضعين الأخريين بالمعنى المجازي والذي لم ينص عليه أيضا ولو كان نص عليهما لكان خيرا له ولي ... ولكن على أية حال فإنه قرب المعنيين من ذهن المتلقي عندما أدخل دلالة اللفظة الحرفية ضمن المضامين الغيبة (الأسطوري على حد تعبيره) ومعناها المجازي بما هو متعارف عليه اليوم (الضغينة بما يحمله الصدر من إضمار الشر للغير وتمني زوال النعمة) .

وبالرجوع إلى معاجمنا العربية للوقوف على دلالة اللفظة الحقيقية، يظهر أنه "لم يذكروا فيه معاني حسية" [٢]وما روي فيه ما ذكره ابْن الْأَعرَابِي من أن "الحَسْدَلُ: القُرَادُ، قَالَ: وَمِنْه أُخِذ الْحَسَد لِأَنَّهُ يَقْشِرُ القَلْبَ كَمَا يَقْشِر القُرادُ الْجلد فيمتصّ دَمَهُ"[٣].

والدلالة المحورية للتركيب (ح س د) تدور حول "شعور حاد يحتبس في جوف الحاسد فيكرَه وُجُودَ النعمة عند المحسود إن كانت موجودة، وصيرورتَها إليه إن لم تكن"[٤] .

وجميع مساقات ورود اللفظة في القرآن الكريم يتحقق في هذا المعنى المحوري على حد سواء، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: من الآية٥٤] وكذا قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٩] "فهم يودون ذلك السوء للمؤمنين غيظًا من تمتعهم بنعمة الإيمان دونهم، لأنهم كانوا يعرفون أن المؤمنين على حق، وكذلك ما جاء في طلب المخلّفين إلى المؤمنين إذا انطلقوا إلى مغانم ليأخذوها ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: من الآية ١٥] أخبر الله عز وجل أنهم عند الرد ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: من الآية ١٥]فإن المخلفين سيقولون ﴿بَلْ

(١) البحر المحيط : ٥٧٤/١٠.
(٢) المعجم الاشتقاقي : ٤٢٧/١ .
(٣) التهذيب : (حسد) (١٦٤/٤) .
(٤) المعجم الاشتقاقي : (حسد) ( ٤٢٧/١) .

﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ [الفتح: من الآية ١٥] فهم لما اعتقدوا أن المؤمنين يريدون حِرمانهم من الفوز بالغنيمة سَمَّوا ذلك حسدًا"[١] وعلى هذا المعنى أيضا جاء قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] يقول القرطبي في تفسيرها: "قَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ" النِّسَاءِ" مَعْنَى الْحَسَدِ، وَأَنَّهُ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ وَإِنْ لَمْ يَصِرْ لِلْحَاسِدِ مِثْلُهَا ،وَالْمُنَافَسَةُ هِيَ تَمَنِّي مِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَزُلْ، فَالْحَسَدُ شَرٌّ مَذْمُومٌ"[٢].

**(الإنزال والتنزيل):**

يقول شحرور: "الإنزال: هو عملية نقل القرآن من صيغة غير مدركة إلى صيغة مدركة أي: إشهاره ،وقد عبر القرآن عن هذا الإشهار بـ "الجعل" تارة، و"الإنزال" تارة أخرى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف من الآية:٣]، و﴿إِنَّا أَنزَلنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف من الآية:٢] [٣] أما عن التنزيل فإنه عبارة عن "نقلة مادية حصلت خارج الوعي كالنقل بالأمواج، وذلك عن طريق جبريل على مدى ثلاثة وعشرين عاما، وهذا هو الفرق، أما عندما يرد الإنزال وحده في وصف شيء فهذا يعني أنه دخل مباشرة في صيغة المعرفة والإدراك ؛ لأنه ليس له وجود مسبق في اللوح المحفوظ وذلك لأن الإنزال هو مرحلة الانتقال من اللوح المحفوظ إلى صيغة قابلة للإدراك، وهذه المرحلة لا تتطلبها الأشياء التي ليس لها وجود مسبق في اللوح المحفوظ "[٤] فتلازم الجعل والإنزال ليعبرا تعبيرا واحدا، فالقرآن الذي بين أيدينا هو غير القرآن في اللوح المحفوظ، وصيغتهما مختلفتان .

**تحليل ومناقشة:**

**من النص السابق يتبين ما يلي:**

- خلا النص من الاستشهادات اللغوية الشعرية منها والنثرية كأدلة ناهضة يحتج بها في التفرقة بين الصيغتين.

(١) المعجم الاشتقاقي : (حسد) ( ٤/٤٢٧،٤٢٨) .
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن : (٢٠/٢٩٥) .
(٣) الكتاب والقرآن : ١٥٣ .
(٤) السابق ذاته .

- رادف بين لفظتي (الإنزال والجعل) في التعبير عن معنى واحد (الإشهار) وهما منبثقان من جذرين مختلفين، وفرق بين صيغتي (الإنزال والتنزيل) وهما مشتقان من جذر واحد (ن ز ل) والله إنه لعجيب أمر هذا الرجل .

- تأصيل الرجل للفظتي الإنزال والتنزيل عار من أي مرجعية لرصيد اللغويين القدامى ،بل مشبع بعبارات لم نعهدها من مثل: (صيغة مدركة، خارج الوعي، قابلة للإدراك) .

- ثم أين يا أ. شحرور إيرادك للاستعمالات اللغوية المنبثقة من الصيغتين والتي من شأنها أن توقفنا على الفرق الدلالي بين الإنزال والتنزيل على نحو ما عهدناه من أبي هلال العسكري في فروقه .

- وأخيرا فإن قصد شحرور من هذا التفريق المزعوم أن ينفي الوجود المسبق لأم الكتاب وآيات الحدود والتشريع والعبادات والأحكام في اللوح المحفوظ "ويجردها عن صفة القطعية، والثبوتية، والإحكام، حتى تتهاوى تحت مطارق الاجتهاد العابث، وتدور مع العصر حيث دار، وتنساق في ركاب الناس حيث انساقوا"[(١)].

هذا وإن كان من فرق بين (الإنزال والتنزيل) فإنه فرق صيغي، وليس فرقا في التأصيل الدلالي، فاللفظتين ينبثقان من جذر واحد يدور حول دلالة محورية واحدة هي: "انحدارٌ أو انفصال وخلوص إلى مقر أو حيّز يوجد فيه بقوة فمن ذلك إنزال القرآن، والملائكة، والماء، والرحمة، والعذاب، وما بمعنى كل منها. وأفعال النزول، والتنزيل، والإنزال، وما اشتق منها واضحة يتحقق فيها معنى الهبوط إلى مقر. ومن الخلوص إلى الاستقرار بين البشر"[(٢)] .

والفرق الصيغي بينهما يأتي فيما تضفيه كل صيغة على هذه الدلالة المحورية العامة، فالإنزال يكون غالبا على دفعة واحدة مع التتابع، أما صيغة التفعيل، فزيادة مبناها تعطي معنى الكثرة والنزول على مهل .

(١) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر :٣٣٣
(٢) المعجم الاشتقاقي : (نزل) ٢١٨٠/٤

## القرآن والكتاب والفرقان

يفرق[1] شحرور بين مصطلحات (القرآن والكتاب والفرقان) إذ يطلق كل مصطلح منها على دلالة مفارقة ومستقلة تماما لدلالة صاحبه، على منهجه في التشطير والتبعيض، فخص كل مصطلح منها بتعريف مستقل، فأطلق الكتاب على مجموعة من المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فشكلت مجموعة من الكتب التي سميت كتاب وهذه المواضيع تنقسم بصفة رئيسة إلى قسمين، الأول: تفصيل الكتاب، وهذا القسم يمثل الصورة الإعجازية للقرآن، لأنه يضم مواضيع تتعلق بعلوم الطبيعة والظواهر والقوانين المادية، أما الثاني فتشمل آيات التشريع والعبادات والأحكام ويرى أنه لا إعجاز فيها لا بليتها للتغيير والتبديل في قابل الأيام .

وبالمناسبة فإن سيادته يرى أن المواضيع التي اشتمل عليها الكتاب لا توجد في اللوح المحفوظ، بدليل أن الصوم لو كان قد ثبت في اللوح المفوظ لأصبح من الظواهر الطبيعية وكلام الله نافذ، وظواهر الطبيعة حقيقة موضوعية، ولصام الناس رمضان شاؤوا أو أبوا.

أما القرآن في فهم شحرور فهو قيقة موضوعية في وجودها خارج الوعي الإنساني، وفهمها لا يتأتى إلا باستثمار قواعد البحث العلمي الموضوعي، والقرآن هو ثبت في اللوح المحفوظ.

والفرقان هو الوصايا العشر التي أنزلت على أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وهذه الوصايا قد تكون عامة وتحوي التعاليم الأخلاقية الاجتماعية المشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة، ويطلق عليه شحرور اسم الفرقان العام، وهناك فرقان خاص وهو خاص بالديانة الإسلامية فقط، وهو موجه لهؤلاء المتقين الذين حققوا تعاليم الفرقان العام ؛ لذا فهو غير ملزم لجميع المكلفين .

(١) عقد لهذه التفرقة بابا كاملا أسماه الذكر، تناول فيه تعريف مصطلحات (الكتاب والقرآن والذكر والفرقان) مفرقا بينها من حيث الإطلاق والمضمون التي تشتمل عليه تفريقا ما أنزل الله به من سلطان، ينظر حديثه في هذا الباب من ٥٠-٦٨

**وبعد هذا العرض فإنه يظهر للبحث ما يلي:**

- أن التفريق المزعوم بين مسميات كلام الله تعالى وصفاته محض افتراء في محاولة من أصحاب التيار العلماني لمجاراة العصر، وتجاوز تاريخية الأحكام التشريعية .

- هذا التكلف الساذج في إيجاد فروقات دلالية بين المصطلحات الثلاثة القصد من ورائه تقسيم القرآن الكريم إلى أشطار متفرقة في الإلزام، والإعجاز، والقداسة .

- أحكامه اللغوية من تأصيل وتفريق دلالي لهذه المصطلحات خلت من أي استئناس لشواهد احتجاجية من فصيح القول .

- يصدر أحكاما شرعية تتعلق بمسائل التكليف عارية من أية أدلة نقلية .

- التمايز الدلالي بين هذه المصطلحات الثلاثة يدل دلالة واضحة على إهدار دلالة السياق القرآني ومساقات ورود هذه المسميات ؛ إذ إن استقراء هذه المساقات، وسبر موارد استعمالها القرآني للوقوف على دلالتها يضح أنها أطلقت وأريد بها كلام الله عز وجل، ذاك النص الإلهي المعجز المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من هذه المساقات التي تنهض دليلا على زعم التمايز بينها، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ﴾ [الزمر:٤١] وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت:٣] وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الذِي نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَى عَبدِهِ﴾ [الفرقان:١].

- ما أوله من تأصيل للمصطلحات السابقة يعده البحث من التأويل الباطني الفاسد إذ لا ينهض لصحته احتجاج لغوي، أو دليل شرعي، أو حتى قرينة عقلية معتبرة .

**والبحث على أن** هذه المصطلحات (القرآن والكتاب والفرقان) وغيرها كالذكر والتنزيل والوحي مسميات وأوصاف تطلق ويراد بها جميعها كلام الله تعالى وآياته

الكريمة المنثورة بين دفتي المصحف الشريف، ولا فرق دلالي يفصل بينها غير ما تضفيه كل لفظة من ملمح دلالي يتضمنه الجذر اللغوي المشتقة منه، وهذه المسميات جميعها على مسافة واحدة من التقديس والإعجاز في نفوس المسلمين، أما من جهة ثبوت دلالتها من عدمه فمحله القواعد الأصولية التي تفصل فيما هو قطعي أو ظني الدلالة، وفيما هو ثابت بدلالة نصية صريحة وما هو محل اجتهاد، وقد أطبق اللغويون والمفسرون على إطلاق هذه المسميات على جميع آي القرآن من قصص وأخبار وأحكام وعقيدة وقيم ومواعيظ ووصايا وحقائق وغيبات من غير تفريق بينها، قال الزجاج: "يسمَّى كلامُ اللَّه الَّذِي أنزلهُ على نبيه صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسلم كِتابا، وقرآنا، وفُرقانا، وذِكْرا"[(١)] كما أن "لغة العرب جرت على هذا الإطلاق بعد عهد النبوة، إذ كان اللسان محروسا لم يتطرق إليه الزلل والعربية في حياطة من السليقة، وإلى ملاذ من القواعد" [(٢)].

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أنه لا يجوز العدول عن المسميات الشرعية إلى غيرها، ذلك أن تغير هذه الألفاظ عن دلالتها الشرعية يلزم معه تغير الأحكام الشرعية المتعلقة بها تحمل ألفاظ القرآن على الحقائق الشرعية، فإن لم تكن فاللغوية، فإن لم تكن فالعرفية"[(٣)] يقول الإمام الزركشي في ذلك: "صَارَتْ الْأَلْفَاظُ بِأَسْرِهَا شَرْعِيَّةً أو عُرْفِيَّةً لِكَثْرَةِ النَّقْلِ وَالتَّغْيِيرِ في انْتِقَالَاتِ الشَّرْعِ وَالْعُرْفِ وَعَلَى هذا يَجِبُ تَتَبُّعُ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ إنْ وَجَدْنَاهَا في أَلْفَاظِ الْخِطَابِ فَإِنْ لم نَجِدْهَا فَالْحَقَائِقُ الْعُرْفِيَّةُ"[(٤)] .

وبإسقاط هذه القاعدة الأصولية على المسميات السابقة فإنه يلزم حملها على بيان الشارع لها حتى وإن كانت لها دلالة لغوية في أصل وضعها (الجمع، والضم، والتفريق بين الحق والباطل) فضلا عن إنزالها على مصطلح حادث فإنها تحمل على إطلاق الشارع (الآيات الكريمات بين دفتي المصحف) الذي لم يميز بين أيها.

أما ما سعى إليه شحرور من تشطير وتبعيض وتجزئ وتقسيم لمسميات القرآن

(١) ينظر تهذيب اللغة : (٢٠٩/٩) .
(٢) النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ٣٢٤ .
(٣) السابق نفسه .
(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي : (٥١٥/١) .

الكريم منهج بديع غريب لا وجود له في النقل أو العقل أو اللغة مما أطبق عليه علماء الأمة لغويون ومفسرون، والقصد من وراء ذلك جعل آيات الأحكام والحدود محل نظر واجتهاد، قاصرة على زمن نزولها، جارية على مستجدات العصر ونوازله.

**(التسبيح):**

فسر شحرور دلالة لفظة (التسبيح) بـ "الحركة الداخلية الجدلية" [(١)] وهو مأخوذ من الفعل (سبَح) ويعني "الحركة المستمرة كالعوم في الماء"[(٢)] مستأنسا ببعض السياقات القرآنية الكريمة التي وردت فيها اشتقاقات (س ب ح) .

والسر وراء هذا التأويل المستكره إثبات جدلية فلسفية وهي هلاك الأشياء من خلال الحركة المستمرة والصراع الدائم للمتناقضين "وفي هذا الصراع يكمن السر في التطور والتغير المستمر في هذا الكون مادام قائما، فهذا ما يسمى بالحركة الداخلية الجدلية، والتي أطلق عليها القرآن مصطلح التسبيح" [(٣)].

**وبالنظر فيما أورده الرجل من تفسير للفظ التسبيح يتبين ما يلي:**

- أوَّل الرجل المفردة القرآنية بتأويل يضيق عنه ظاهر اللفظ، ومساقات وروده.

- أنزل المفردة القرآنية على مصطلح حادث يتنافى والتأصيل المعجمي للجذر المنبثق عنه اللفظ، وكذا مساقات وردوده في التعبير القرآني .

- أخطأ الرجل في الوزن الصرفي لفعل التسبيح ؛ إذ اشتقه من (سبَح) والصواب (سبَّح) فالمصدر من (فعَّل) (تفعيل) .

- أخضع الرجل معاني المفردة القرآنية لتمرير فكره الجدلي الفلسفي (صراع المتناقضين/هلاك الأشياء/ صراع الشيء الداخلي الواحد) متذرعا بباب التأويل ليخرج المفردة القرآنية على هذا المعنى الفاسد .

---

(١) الكتاب والقرآن : ٢٢٣ .
(٢) السابق ذاته .
(٣) الكتاب والقرآن : ٢٢٣ .

- خرَّج الآيات الكريمات الواردة في سورة الصافات على أنها في سورة يونس، وهذا حال رجل تصدى لتفسير كتاب الله عز وجل وراح يأول ويفسر ويدلي بدلوه ويخطئ ويصوب ويحيل ... عجز عن توثيق آية في مظنها الصحيح.

**وبالرجوع إلى معجماتنا العربية، وكذا الاستعمالات القرآنية لمساق ورود اللفظة ومشتقاتها الصرفية يتبين الآتي:**

- المعنى المحوري لـ (السبح) هو: "مخالطة بتمدد لما شأنه أن يَغمر - مع عدم الانغمار فيه. كهيئة السابح يمتد بدنا وسعيا فوق الماء دون أن ينغمر،... ولعدم الانغمار قيل: "كساء مُسبّح: معرض "وللتمدد قيل "التسبّح: التمدد"[(١)].

ومن الاستعمالات اللغوية المشتقة منه: "سَبْح النجوم والكواكب (ما يبدو من جريانها، فهو تمدد وانبساط على أديم السماء) ﴿.. **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣] وكذلك ما في [يس: ٤٠]، ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾ [المزمل: ٧] أي: تصرفًا في حوائجك وإقبالًا وإدبارًا وذهابًا ومجيئًا. والسبْحُ: الجَرْى والدوَران ...وهو انبساط. ... ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾ [النازعات: ٣] (هي النجوم أو السفن أو الملائكة بأنفسهم أو بالأرواح)"[(٢)].

وما ذكره أستاذنا الدكتور جبل من تأصيل يلزمه معنيان معنويان: التعجب والتنزيه من جهة "الانبساط فوق الماء ونحوه دون الانغماس فيه، أي من الفَوْقية والعُلُوّ - كما يقال: "تعالى الله "، ومن عدم الانغماس، وهذا هو معنى ما قالوه من أنه التنزيه والتبرئة"[(٣)] .

**وباستقراء موارد استعمال سائر ما في القرآن من التركيب تفسَّر فيه (سبّح) وتصريفها و(سبحان) بـ:**

١ - التنزيه عن أن يُنسَب إليه تعالى ما لا يليق، ومنه قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات:١٨٠].

(١) المعجم الاشتقاقي : (سبح) (٩٤٧/٢) .
(٢) السابق نفسه .
(٣) السابق : (٩٤٨/٢) .

٢- التعظيم وهو لازم للتنزيه، ومنه قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

٣ـ - الذكر، والعبادة، والصلاة، وكلها من مستلزمات التعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيهِم أَن سَبِحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]،وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِحِينَ﴾ [الصافات:١٨٠].

٤ - التعجب وهو من دواعي الاستغراب، والغرابة بُعْد كما أن التنزيه إبعاد، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

فكل هذه السياقات القرآنية جاءت فيها المفردة القرآنية ومشتقاتها بمعنى التعظيم والذكر والتعجب ثم التنزيه، فمن أين لشحرور بهذا التأويل المغرب، حتى وإن تضمنت اللفظة – في إحدى صور اشتقاقاتها - معنى العوم فأين الربط بين العوم وصراع المتناقضين وهلاك الأشياء ؟؟؟ ثم أين الرجل من الدلالة السياقية التي تكتسبها الألفاظ حال تركيبها والتي قد تختلف – في كثير من الأحيان - عن دلالتها المعجمية؟؟ ثم أين الرجل من القاعدة الأصولية التي توجب على المفسر لكتاب الله ضرورة حمل المفردة القرآنية على دلالتها الشرعية إذا تعارضت مع دلالتها اللغوية ؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك بعد بعيد بين صنيع أستاذنا الدكتور جبل وصنيع الرجل في تفسير دلالة المفردة القرآنية وما انبثق عنها من اشتقاقات لغوية ؛ حيث ظهر حرص أستاذنا وإجادته بالتأمل ولطف الصنعة – دون أدنى تكلف أو إغراب - في رد دلالة الاستعمالات القرآنية (الشرعية/العرفية) إلى الدلالة اللغوية العامة للتركيب المشتق منها على النقيض تماما يأتي الأستاذ شحرور بتأصيل مغرب ومتكلف مهدرا لخصوصية السياق القرآني، ضاربا الصفح عن قواعد تفسير الألفاظ القرآنية التي تتحمل أكثر من دلالة، فضلا عن صبه المعاني القرآنية في قوالب نظريات جدلية فلسفية تنبو عنها .

**(الفلق):**

أصل شحرور للفظة الفلق بـأنه: "فرجة وبينونة في الشيء"[(١)] وفسر المفردة

(١) الكتاب والقرآن : ٢٢٤ .

القرآنية (فالق) في سياق الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [سورة: الأنعام من الآية: ٩٥] بمعنى "شيء أبرز وأظهر منه شيء آخر" [(١)] ثم رادف أو صاقب بين معنى لفظتي (الخلق والفلق) لاشتراكهما في حرفين من أحرف بنائها، مدعيا بأن السياق القرآني للآية جاء تعبيرا مباشرا عن قانون صراع المتناقضات .

**وبالنظر في النص السابق يظهر ما يلي:**

- قارب الرجل بين دلالة لفظتي (الخلق والفلق) وهما لا ينطبق عليهما شروط القول بالتصاقب الدلالي.
- ناقض الرجل نفسه هنا عندما أقر بوجود تقارب في المعنى - ترادف غير تام- بين لفظتي (الخلق والفلق) ونسي أن قراءته التفسيرية قائمة على المنهج التشطيري الذي ينكر الترادف في اللغة .
- أغرب الرجل في توجيهه اللغوي لما جاء به من تأويل باطني فاسد ليمرر به فكره الماركسي المادي، ويثبت من خلاله جدلية صراع الأضداد .

**وبالرجوع إلى معاجمنا العربية وكتب التفسير للوقوف على التأصيل اللغوي للفظة (الفلق) وكذا الاستعمالات اللغوية المنبثقة منها يضح أن:**

- المعنى المحوري للفلق هو "شق الشيء الشديد الكثافة شقًّا نافذًا إلى عمقه" ومنه: "الفَلْق - بالفتح: الشَّقُّ (في حَرَّة أو نحوها) والفَلَق - بالتحريك، والفالق: الشَّقُّ في الجبل، والشِعْبُ، ... والفيلق: الكتيبة العظيمة "كأنها فرقة عظيمة من جيش"[(٢)].

وعليه فأن تفسير فالق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أنه سبحانه وتعالى: "شَاقُّهُ فَمُخْرَجٌ مِنْهُ النَّبَاتَ وَالنَّوَى، فَمُخْرَجٌ مِنْهُ الشَّجَرَ"[(٣)].

على أن أبا حيان حكى إنكار الترادف بين الخالق والفالق، فقال: "وَلَا يُعْرَفُ

(١)الكتاب والقرآن: ٢٢٤ .
(٢) المعجم الاشتقاقي : (فلق) (١٧١٢/٣) .
(٣) البحر المحيط : (٥٩١/٤) .

ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ" والبحث على أن الترادف بين اللفظتين في أصل وضعهما اللغوي غير جائز، لكن يجوز تمريره من باب الترادف السياقي الذي يفرضه التركيب من تناوب اللفظتين في جزء من المعنى في بعض السياقات دون بعض، يعضد ما ذهب إليه البحث رواية ابن عباس والضحاك من مجيء معنى فالق بمعنى خالق، باعتبار أن الشق والإنبات من مستلزمات الخلق .

- ما جاء به شحرور من توجيه لغوي مغرب لتسويغ فكره الجدلي الفلسفي لا يتساوق والدلالة المحورية للفلق، ولكن تعصبه لمذهبه الماركسي "يملأ عليه سمعه وبصره، ويزين له أن الكون بأسره مبني على الصراع والتنافر، وجدليات الواقع المادي والإنساني، ويحمله حملا على سوق هذه المقالات - بعجرها وبجرها- إلى ساحة الدرس القرآني"[(١)].

**(القدر ):**

قال شحرور في تفسير ليلة القدر: "جاءت ليلة القدر في اللسان العربي من قدر بفتح الأحرف الثلاثة، وهي تدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته " ثم ربط هذا التأصيل بتعليل مغرب، قال فيه: "وبما أن محمدا هو خاتم الأنبياء، والقرآن هو خاتم الكتب، ففي كلمة القدر دليل على أن القرآن وصل إلى مبلغ وغاية اللسان العربي" ثم تابع تفسيره للفظة الليلة قائلا: "أما الليلة فهي هاهنا لا تعني الليل، بل تعني الظلام ؛ لأن ليل مكة يقابله ظلام في لوس أنجلوس " [(٢)].

بعد عرض هذا الشطح والجموح والإغراب والتكلف البارد في تفسير ليلة القدر، يدور في خلدي سؤال... هل لهذا الحد يجعل التعصب المذهبي صاحبه مطموس العين والقلب والعقل والفهم ؟ أي لسان عربي يقصد شحرور ؟ وما علاقة لوس أنجلوس بتفسير مفردات القرآن الكريم ؟

على أية حال إذا ما عرجنا على معجمات العربية التي تحمل روايات اللسان العربي، وكتب التفسير التي تنقل لنا فهم الصحابة والسلف للمفردات القرآنية لنستفتيهم في تفسير القدر وليلة القدر نجد أن:

(١) النص القرآني : ٣١٠ .
(٢) الكتاب والقرآن : ٢٠٦ .

- المعنى المحوري الذي يدور عليه (قدر) ومشتقاته هو "ضَبْطُ الشيء القابل للتسيب أو الانبساط وحَكْمه وامتساكه على وضع أو كمٍّ أو مسافة معينة فلا يتسيب ولا يسترسل، كما تَضُمُّ القِدْرُ اللحم وغيره في جوفها لا يتسيب، .... ومن ملحظ الضبط والحَكْم دلت على القَيْس [بمعنى المقايسة والتقدير] وعلى التدبير، وعلى التضييق كما دلت على القُدْرة، فقَدْرُ كل شيء: قِياسه ومَبْلغه، وقَدَر الشيءَ بالشيء (نصر) وقدّره -: قاسه، وتَقَدّرَ الثوبُ عليه جاء على مقداره، واقْتَدَرَ الشيءَ بالشيء: قاسه به .. وكذلك قَدَرت لأمرِ كذا: نظرتُ فيه ودَبّرته وقايسته، وقَدَرْت عليه الثوب فانقدر أي جاء على المقدار، ... ومن هنا "القَدَر - بالفتح وبالتحريك: قضاءُ الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أراد لها ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وكذا معنى كل (قَدَر)"[(١)].

وعلى هذا فإن معنى القدر في الآية الكريمة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] هو التقدير والفضاء ؛ لأن الله تعالى يقدّر فيها ما يشاء من أمره في الموت والرزق والأجل وغيرها إلى سَنَة"[(٢)] والليل هو عقيب النهار، وليلة القدر هي الليلة التي تقدر فيها مقادير العباد .

- أن توجيه شحرور لتفسير ليلة القدر من قبيل التأويل الفاسد وتحريف الكلم عن موضعه، فلا مرجع له في اللسان العربي – كما زعم- ولا حجة له من دليل شرعي غاية الأمر أنه إفراغ المفردة القرآنية من فحواها الإيماني وحشوها بمفهوم تنبو عنه.

**(الفصل):**

يواصل شحرور تحريره لدلالة المفردة القرآنية بتأويل منحرف يفرغها من شحنتها الإيمانية عندما فسر الفصل في قوله تعالى: ﴿**ليوم الفصل**﴾ [المرسلات:١٣] بـ: "فصل قانون صراع المتناقضات عن الوجود المادي"[(٣)] .

(١) المعجم الاشتقاقي : (قدر) (١٧٤٥/٤) .
(٢) السابق : (قدر) (١٧٤٦/٤) .
(٣) الكتاب والقرآن : ٢٢٩ .

وهذا العبث دليل صارخ على إهدار دلالة السياق القرآني في سبيل الولاء للفلسفية الجدلية ومقولاتها، فتصب المعاني القرآنية صبا رغما عنها في قوالب الماركسية، وإفراغ المصطلحات القرآنية من فحواها الإيماني، وصفتها الربانية، ألهذا الحد وصل بهم اللهث والتهافت وراء الحداثة والمثاقفة الفلسفية الغربية أن يحرفوا دلالة المفردة القرآنية لهذه الصورة من الإغراب العجيب في التفسير والإسقاط ؟ كيف صير الرجل يوم الدين والجزاء والقيامة إلى ما أسماه بفصل قانون صراع المتناقضات؟

من أين له بهذا التأويل الفاسد ؟ ألم ينتبه لهذه القرائن السياقية للآيات السابقة واللاحقة وهي تسوق الحديث عن تصوير يوم القيامة، وتصف أهواله، وتبشر المتقين وتتوعد المكذبين ؟؟ لا لم ينتبه بالطبع لهذه الشواهد والقرائن السياقية، فهو الرجل الوفي بمقولات المذهب الجدلي الماركسي المادي، ولا يهمه بعد ذلك طبيعة النص الإلهي المعجز الذي يطبق عليه .

**سمات منهج شحرور في قراءة النص القرآني وتفسير دلالة المفردة القرآنية**

**من جميع ما سبق يمكن الوقوف على منهج شحرور الإقرائي في الملامح التالية:**

- تطبيق مقولات الماركسية بحذافيرها على تفسير وتأويل دلالة المفردة القرآنية، فكان شحرور قارئا وفيا للفلسفة الماركسية، مطبقا لمنهجها، منزلا إياها على النص القرآني فهما وتأويلا.
- تطبيق المنهج التشطيري في تفسير دلالة المفردات القرآنية المترادفة، وهو مسلك لغوي شاذ، يجعل المعنى العام المشترك الذي تدل عليه الألفاظ المترادفة أشطارا عدة، وتقسيمات متباينة، ينفرد كل شطر منها بلفظ واحد، ويصرفه عن الدلالة العامة المحورية التي تجمع هذه المترادفات، زاعما أن مرجعيته آراء بعض القدامى التي تذهب إلى القول بإنكار الترادف في اللغة .
- إهدار الدلالة المعجمية للمفردة القرآنية: فدأب شحرور أن لا يلقي بالا بالدلالة المعجمية عند تحرير دلالة المفردة القرآنية، فالكلمة في مذهبه الماركسي دائمة التطور، والمستجدات العلمية والحضارية ضرورة ملزمة لهلاك دلالة اللفظ

الأصلية .

- غض الطرف عما يمليه فحوى الخطاب القرآني وعدم الاكتراث بخصوصية السياق القرآني من سمات تعبيرية وقصدية شرعية .
- قصر الأحكام الشرعية على زمن نزولها، تقويضا لسلطة الشرع عليها .
- إخضاع تفسير دلالة المفردة القرآنية لمناهج تحليل الفلسفة المادية، وتنزيلها على مصطلح حادث، حيث اندفع شحرور اندفاعا إلى حمل دلالة المفردة القرآنية على الاصطلاحات الماركسية المادية وتطبيق مقولاتها بحذافيرها، ولم ينتبه لضرورة الأخذ في الاعتبار عدم حمل الألفاظ على اصطلاح حادث، فالقاعدة الأصولية تقضي بضرورة حمل الألفاظ الشرعية على دلالتها العرفية المتعارف عليها في عصر التنزيل الجارية على عرف اللسان العربي في الجيل الأول ولا تحمل على دلالة مصطلحية حادثة مواكبة .
- عدم الاكتراث بالقواعد الأصولية الضابطة لتفسير دلالة المفردة القرآنية " كما جاءت محررة مهذبة في كتب اللغة والأصول وعلوم القرآن، وإنما يضرب عنها صفحا ... لاهثا وراء مقولات الفكر الماركسي المادي، وطالبا ودها على حساب المعاني القرآنية الأصيلة، ودلالات الوحي الهادية"[1] .

ومهما يكن من أمر فإن "قراءة شحرور تمثل منحى ماركسيا صرفا في التأويل، اجتهد ما وسعه الاجتهاد في صب المعاني القرآنية في قوالب ماركسية جاهزة، ولا يهم ضيق القالب أو اتساعه للمعنى المفرغ، مادامت المقاصد مرسومة سلفا، والأيدولوجيا حاكمة على المنهج ؛ هذا مع تطعيم الماركسية بمقولات ألسنية وبنيوية وتفكيكية آفلة، فشلت وذهب ريحها منذ زمن غير قصير، لكن فيها متسلقا للفصل بين النص وقائله، وإحلال دلالة القاريء محل دلالة المتكلم"[2] .

**(اقرأ):**

يفسر أركون القراءة في قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ بالتلاوة، ونصه في

(١) النص القرآني من أفق القراءة إلى أفق التدبر : ٣١٩ .
(٢) السابق : ٣٠٢ .

ذلك: "أن الفعل **"قرأ" لا يدل إلا على التلاوة فقط، وإذا ثبت ذلك فإن المصدر (قرآن) لا يصح مرتبطا إلا بنص شفهي، فجذر المادة (قرأ) يدل بالأحرى على التلاوة ولا يفترض مسبقا وجود نص مكتوب"**[1].

وفي موضع آخر يعلل تفسير القراءة بالتلاوة بقوله: **"في اللغة العربية كلمة قرآن هي المصدر بالنسبة للفعل قرأ، وبالتالي فمعناها القراءة بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكن على الصعيد التاريخي للتلفظ بالخطاب القرآني نلاحظ أن الثقافة الشفهية، والكلام المباشر كانا يتغلبان على الكتابة والقراءة ففي زمن النبي المؤسس كانت الكتابة قليلة، والذين يعرفون ممارستها كانوا محدودي العدد، وبالتالي فكلمة قرآن كانت تحمل بالأحرى معنى التلاوة أو التلفظ الشفهي لبعض العبارات "**[2] .

**تحليل ومناقشة:**

**بالوقوف على النصين السابقين لأركون يظهر للبحث ما يلي:**

- القرآن مصدر مشتق من الفعل قرأ .
- القراءة من نص مكتوب هي الدلالة المعجمية لـ (قرأ) .
- القراءة في هذا السياق القرآني مرادفة لـ التلاوة الشفهية .
- أمية النبي - صلى الله عليه وسلم- هي قرينة مقامية/حالية عول عليها أركون في تحديد معنى المفردة القرآنية(قرأ) في السياق القرآني الشريف .

قبل الرجوع إلى معجماتنا العربية وأقوال المفسرين للوقوف على التأصيل المعجمي لمادة (قرأ) وكذا الاستعمالات اللغوية المنبثقة منها لمناقشة الرجل فيما ذهب إليه من تفسير، استوقفني هنا تعبير أركون عن المرجعية التي استقى منها اشتقاق الصيغة الصرفية (قرآن) بقوله "في اللغة العربية كلمة قرآن هي المصدر بالنسبة للفعل قرأ..." فلم أعهد في كتب اللغة التي عنيت بالتصويب أو التثقيف وتقويم اللسان فضلا عن التي بسطت القول في شرح مفردات ألفاظ اللغة التعبير عن مصدر من مصادر الاحتجاج بـ(اللغة العربية) فما أعهده في هذا المقام هو التعبير بألفاظ من مثل: والقياس هو/ أو والسماع يقضي بـ / أو في الرواية / أو معهود

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد : ٧٣.
(٢) نقلا عن : النص في القرآن بين تأويل القدامى والمحدثين : ٤٦٣ .

العرب / أو ما عليه النحاة / أو الفصيح كذا / أو سنن العربي / أو القاعدة تقول كذا / أو حتى قول العامة .... إلى غير ذلك من الأحكام اللغوية التي درج عليها لغويونا القدامى عند الاستشهاد بقاعدة ما، أما التعبير باللغة العربية كمرجع احتجاجي في هذا المقام فغير مناسب لسوق قاعدة لغوية يبرهن بها على ما أصدره من حكم صرفي ،فاللغة العربية مصطلح فضفاض ليست على مستوى واحد من حيث الاستعمال والتقعيد ،فمنها الفصيح والعامي ،بالإضافة إلى أن الفصحى أيضا ليست على مستوى واحد من الفصاحة ،فمنها الفصيح والأفصح والصحيح والأصح، كما أن اللغة تتفرع إلى لهجات منها الشاذ والقليل والنادر، وكذا العامية ،بالإضافة إلى أن مستوى الإفراد غير مستوى التركيب ... وهكذا فإن لكل من هذه المستويات اللغوية أحكامه وتقويماته.

**القرآن مصدر قرأ:**

يذكر أركون في النص السابق أن لفظة (قرآن) مصدر للفعل قرأ، والراية اللغوية تروي للفعل (قرأ) ثلاثة مصادر نقلها الأزهري عن اللحياني ،ونصه "يُقَال: قرأتُ الْقُرْآن وَأَنا أقرؤه قَرْءا وَقِرَاءَة وقُرآنا، وَهُوَ الِاسْم"[١] وكذا حكى غير واحد من اللغويين[٢] للفعل قرأ مصدري (القراءة والقرآن) ثم خص المصدر الثالث وهو (القرآن) في الاستعمال اسما على كتاب الله العزيز من باب إطلاق المصدر على مفعوله ،فصار علما "لهذا المقروء المجموع بين الدَفّتين"[٣] يقول الفيومي: "وَقَرَأْتُ أُمَّ الْكِتَابِ فِي كُلِّ قَوْمَةٍ وَبِأُمِّ الْكِتَابِ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْبَاءِ قِرَاءَةً وَقُرْآنًا، ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ الْقُرْآنُ اسْمًا مِثْلَ الشُّكْرَانِ وَالْكُفْرَانِ، وَإِذَا أُطْلِقَ انْصَرَفَ شَرْعًا إلَى الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ وَلُغَةً إلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُقْرَأ"[٤] ومأتى التسمية كما حكي عن الزجاج أنه: "يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا وقرآنا وفرقانا، لأنه يجمع السور فيضمها "[٥] وقيل: سُمي به "لأنه جُمِع فيه

(١) التهذيب : (قرأ) (٢١١/٩) .
(٢) ينظر : المصباح : (قرأ") (٥٠٠/٢)، والتاج (قرأ) (١٧١/١) .
(٣) المغرب في ترتيب المعرب : (قرأ) (٣٧٩/١) .
(٤) المصباح : (قرأ") (٥٠٠/٢) .
(٥) معاني القرآن وإعرابه المنسوب للزجاج : (١٧٠/١) .

القصص والأمر والنَّهيُ والوعد والوعيد"[١] وذلك لأن "الأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته" [٢] .

**وعن تحقق هذا المعنى المعجمي (الجمع) بما يستلزمه من معنيي الوقت، والانتقال من حال إلى حال في قراءة القرآن هو كالتالي:**

- أن تجمعه (تعيه) في قلبك حفظا على كل الأحوال بالتلقي، ومنه قولهم: "مَا قرأتْ هَذِه الناقةُ سَلًى قطُّ، إذا لم يضطمّ رَحِمُها على الولَدِ "[٣] .
- أن تلقي بهذا الجمع المحفوظ من القلب إلى اللسان في قت طال أو كثر، من قولهم:" قَرأتُ القرآن: أي لَفظْت به مجموعا: أي القيتُه"[٤] .
- أن تنتقل من حالة السكوت إلى حالة الترتيل والجهر بحروفه .

**القراءة بمعنى التلاوة الشفهية :**

يجزم أركون في النص السابق بأن التلاوة لا تكون إلا شفهيا فقط، وفي الحقيقة هذا ادعاء يبطله صريح قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ [العنكبوت: ٤٨]فالتلاوة هنا بمعنى القراءة من مكتوب، وعليه فإن ما ساقه أركون من دليل على أن القراءة تعني التلاوة الشفهية فقط لم يسلم، ويبقي القول بعموم استعمال القراءة فيما هو مكتوب، كما في قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ [يونس: ٩٤] أو عن ظهر قلب من محفوظ.

**تحرير لفظة (اقرأ) في الآية الكريمة:**

سبق وذكر البحث أن أركون يفسر القراءة بالتلاوة، وعليه فإن (**اقرأ**) هنا بمعنى (اتلو) وبالرجوع إلى أقوال المفسرين في هذه الآية يضح أنها فسرت بـ " **اقْرَأْ** مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، وَهُوَ أَنْ تَذْكُرَ التَّسْمِيَةَ فِي ابْتِدَاءِ

(١) التاج (قرأ) (١٧١/١) .
(٢) السابق : ( ٣٧٠/١) .
(٣) التهذيب : (قرأ) (٢٠٩/٩) .
(٤) السابق ذاته .

كُلِّ سُورَةٍ، فَمَحَلُّ الْبَاءِ مِنْ بِاسْمِ رَبِّكَ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، وَقِيلَ: الْبَاءُ بِمَعْنَى عَلَى، أَيِ: **اقْرَأْ** عَلَى اسْمِ رَبِّكَ، يُقَالُ: فَعَلَ كَذَا بِاسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى اسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمَقْرُوءُ مَحْذُوفٌ، أَيِ **اقْرَأِ** الْقُرْآنَ، وَافْتَتِحْهُ بِاسْمِ اللَّهِ... وَقِيلَ: **اقْرَأْ** وَرَبُّكَ أَيِ اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ وَرَبُّكَ يُعِينُكَ وَيُفْهِمُكَ"[(١)] .

**والبحث على أن (اقرأ) هنا بمعنى: احفظ (وعي القلب لاسم الله) والباء صلة كما في قوله تعالى: "تنبت بالدهن" وعليه يكون المعنى: احفظ اسم ربك الأكرم الذي منَّ على الإنسان بالخلق والعلم، والذي يقوي في نفسي هذا التفسير ما يلي:**

**أولا:** الرواية، فحكي عن قتادة أنه فسر (اقرأ) هنا بـ (قل)، وفسرها أبو عبيدة بـ (اذكر) والحفظ يعقبه قول وذكر .

**ثانيا:** التأصيل المعجمي (الجمع) للجذر المنبثق منه الفعل (اقرأ) فالقراءة هي حفظ المادة المقروءة ووعيها في القلب ثم تلفظها .

**ثالثا:** سبر مساقات ورود اللفظة (القراءة) في السياقات القرآنية والحديثية المختلفة، من مثل قوله – تعالى – ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: ١٧] فتفسيرها بالحفظ في الآيتين هو الأنسب لمساق وردهما كما وورد في صحيح البخاري [باب تعليم الصبيان القرآن] قال ابن عباس توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن عشر سنين وقد قَرَأْت المحكم"[(٢)] يعني "المفصّل أي قصار السور، والمقطوع به هنا أن المراد أنه حَفِظَها، وقد جاء في رواية أخرى "جَمَعْت المحكم "[(٣)]فهذا يدل على أن المراد بالقراءة الحفظ وأنها بهذا المعنى تُعَدُّ جمعًا في الذهن أو القلب"[(٤)].

(١) تفسير القرطبي : (١٢٠/٢٠) .
(٢) كتاب : ( فضائل القرآن) : (١٩٣/٦) .
(٣) الرواية في صحيح البخاري، باب : (تعليم الصبيان القرآن)، كتاب : (فضائل القرآن) : (١٩٣/٦) .
(٤) المعجم الاشتقاقي : (قرأ) ( ١٧٥٩/٤.) .

**رابعًا:** السياق المقامي للآيات ( تعداد نعم الله على الإنسان) يناسبه تفسير القراءة بالحفظ.

**أما عن أبي زيد ففسر القراءة هنا بالترديد،** ونصه: "الأمر بالقراءة هنا أمر بالترديد، و"اقرأ" معناه "ردد" وذلك على خلاف الفهم الشائع حتى الآن والمستقر نتيجة تطور دلالة الفعل "اقرأ" مع تطور مماثل في إطار الثقافة أدى إلى تحويلها من الشفاهية إلى التدوين"[(١)].

**بالوقوف على النص السابق يتبين ما يلي:**

- فسر أبوزيد القراءة في الآية الكريمة بالترديد .
- حكم على لفظة (القراءة) بالتطور الدلالي من القراءة الشفهية إلى القراءة من نص مكتوب .

ويبدو أن أبا زيد خلط بين القراءة والتلاوة في حكم التطور الذي أصدره في النص السابق على لفظة القراءة، فالتلاوة_أصلها "من تتبع الكلام المكتوب عند القراءة، أي: اتباعه كلمة كلمة، فهذا يعني القراءة من مكتوب، ثم عمم في القراءة عن ظهر القلب، أي: من غير مكتوب"[(٢)] أما القراءة من نص مكتوب أو عن ظهر قلب فمعنيان قائمان في لفظة القراءة يستلزمهما الجمع والوعاء_.

ومهما يكن من تفسير لفظة القراءة بالتلاوة كما أولها أركون أو بالترديد كما أولها أبو زيد فإن الاثنين يريدان من وراء هذا التفسير أن يصلا إلى تأكيد ادعائهما من أن القرآن نزل شفهيا على سيدنا مجمد صلى الله عليه وسلم، هذه المرحلة الشفهية لم تحتفظ بنسختها الأصلية – كما الحال في بقية الكتب المقدسة - فيجب أن نفرق بين الخطاب الشفهي (القرآن) والنص المدون (المصحف)، فالفاصل الزمني بين فترتي التبليغ والتدوين كفيل بوقوع السقط والتحريف بالنسخة المدونة.

(١) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : د/نصر حامد أبو زيد :٦٦، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب .
(٢) المعجم الاشتقاقي : (قرأ) (٢١٤/١) .

ومن ثم فإن القراءة الحداثية تذرعت ببعض المسالك اللغوية (الترادف _ التطور الدلالي _ الاحتمال الدلالي) لإضفاء طابع المصداقية والشرعية لتأويل دلالة المفردة القرآنية بما يتلاءم وفكرهم العلماني، وعليه فهي قراءة عبثية منحرفة دلاليا وليست تجديدا للتأويل التراثي من أي وجه = قراءة حولت التأويل من علم يبحث عن المعنى واستجلائه واستكناه مضامين دلالة المفردة القرآنية وتقريبها لذهن المكلفين وفق مراد الله ومراعاة مقاصد التنزيل إلى رؤى جدلية ومذهب فكري وتوجه فلسفي مستجلب من البيئة الغربية بحضارتها المادية .

---

## المبحث الثاني

## قراءة منهجية للفهم التفسيري التراثي والحداثي للنص القرآني

ويشمل المطالب التالية

- المطلب الأول: سمات المنهج الإقرائي للتيار العلماني حيال النص القرآني.
- المطلب الثاني: موازنة منهجية بين القراءتين التراثية والحداثية للنص القرآني .
- المطلب الثالث: محاولة التأصيل لمنهج فهم تفسيري تجديدي منضبط .

### المطلب الأول

### سمات المنهج الإقرائي للتيار العلماني حيال النص القرآني

**خلص البحث بعد قراءة النماذج التفسيرية السابقة لأصحاب التيار العلماني إلى ما يلي:**

_ القراءة الحداثية للنص الديني ركبت مركب التأويل البعيد المستكره بانحرافها الدلالي لمعاني المفردة القرآنية، وذلك من أجل استجلاب القيم الغربية الحداثية إلى مضامين المفردة القرآنية .

_القراءة الحداثية تذرعت ببعض المسالك اللغوية (الترادف _ التطور الدلالي _ الاحتمال الدلالي) لإضفاء طابع المصداقية والشرعية لتأويل دلالة المفردة القرآنية بما يتلاءم وفكرهم العلماني .

_التأويل العلماني عبارة عن ممارسة إقرائية مفتونة بالحضارة المادية الغربية، باعثها تسلط الفكر الأيدولوجي، ودليلها العقل المتحرر الذي لا يكبح جموحه سلطة شرعية وغايتها العولمة والمواكبة العصرية، وهدفها إحكام القبضة على مصادر التشريع الأولى وإحلال القوانين الوضعية محلها، وسبيلها حمل مفردات القرآن الكريم على دلالات متعذرة تنبو عنها، فتعاملوا معها على أنها أوعية فارغة أو قوالب جامدة قابلة للامتلاء بما تفرضه عليهم مناهج الغرب التي زاغت أبصارهم بحداثتها افتتانا بها .

_القراءة الحداثية للنص القرآني = قراءة عبثية منحرفة دلاليا وليست تجديدا للتأويل التراثي من أي وجه = قراءة حولت التأويل من علم يبحث عن المعنى واستجلائه واستكناه مضامين دلالة المفردة القرآنية وتقريبها لذهن المكلفين وفق مراد الله ومراعاة مقاصد التنزيل إلى رؤى جدلية ومذهب فكري وتوجه فلسفي مستجلب من البيئة الغربية بحضارتها المادية = قراءة قوضت المفاهيم الدينية والأصول العقدية والعبادات والأحكام التشريعية =قراءة أخضعت لغة الوحي للغة العصر بما تحمله من إضافات بشرية عصرية = قراءة أفرغت دلالة المفردة القرآنية من جوهرها الإيماني بإهدار دلالاتها المعجمية والسياقية = قراءة أخضعت النص القرآني رغما عنه لمناهج مسترفدة من الفكر الغربي المتمرد على الحكم الكاثوليكي وتعاليم الكنيسة = قراءة ألغت المقاصد التشريعية لدلالة المفردة القرآنية التي كان يتوخاها التأويل التراثي = قراءة نقدية متحررة من أية سلطة شرعية أو قوانين ضابطة في مقابل القراءة الاعتقادية الإيمانية التي خلفها التراث الإسلامي = قراءة تعددية نقدية تستند إلى المناهج اللسانية والسيميائية والأدبية لتقويض دلالة المفردة القرآنية وتنزيلها على مصطلح حادث = قراءة أحدثت القطيعة مع التراث للشعور بالدونية والاضمحلال والتبعية للحضارة الغربية المادية = قراءة قوضت المفاهيم الغيبية والمسلمات الإيمانية الراسخة التي تتضمنها دلالة المفردة القرآنية وصبتها في قوالب ماركسية = قراءة أنسنت النص القرآني وعقلنته وأرخنته للتشكيك في صدق الوحي وتقويض إحكام قبضة الشارع على الفرائض والعبادات التكليفية = قراءة متعددة الرؤى خاضعة لأفق القاريء وسلطته المهيمنة على النص = قراءة تشكيكية تسترفد المناهج التاريخية النقدية التي تحقق في مصداقية النص القرآني على غرار الكتب المقدسة التي طالها الزمن بالتغيير والتحريف = قراءة تخرج بدلالة المفردة القرآنية عن تأويلها الصحيح ليتلاءم مع متطلبات العصر ومتغيراته تحت مسمى العصرية تارة والحداثة تارة ثانية والعلمانية تارة أخرى = في النهاية هي قراءة في مجملها لا تبحث عن قرينة صحيحة معتبرة لصرف اللفظ عن ظاهره ولكنها منفتحة على جميع التأويلات التي تبتعد كل البعد عن قصد الشارع ومراده، لم ترع الضوابط والقواعد التراثية المؤصلة لتأويل دلالة المفردة القرآنية، تمَارَس وفق

مناهج غربية وفكر فلسفي جدلي مادي، نزعت عن النص قداسته وحررته من أي سلطة تضبط جموح الممارسات التأويلية عدا سلطة القاريء وهواه ورغباته، قراءة دعت إلى التنصل من كل ماله علاقة بالتراث تحت مسمى التجديد ومواكبة العصر، وسلكت مسالك لغوية – في غير موضعها - حرفت دلالة المفردة القرآنية عن معانيها وأنزلتها على مصطلحات فلسفية حادثة تحت دعوى التحضر والعولمة .

---

## المطلب الثاني

## موازنة منهجية بين القراءتين التراثية والحداثية .

_ أنه إذا كانت القراءة التراثية جاءت امتثالا لأمر تكليفي شرعي توضيحا واستجلاء لدلالة المفردة القرآنية فإن الدعوة إلى قراءة حداثية معاصرة جاءت على غرار ما حدث للنصوص اللاهوتية بعد حركة الإصلاح الديني في أروبا في سياق البحث عن فهم جديد للنصوص الدينية – بعيدا عن رجال الكنيسة - يواكب الحضارة المادية والعولمة، وذلك وفق مناهج ألسنية وفلسفية ونقدية كالتاريخية والبنيوية والتفكيكية .

_ وإذا كان النص القرآني في القراءة التراثية له قداسته وسلطته وهيمنته على النص والمتلقي، منه ينطلقون وإليه يعودون، فإنه في القراءة الحداثية تخضع لأفق القاريء وهواه وما تفرضه عليه حضارته المادية .

_ وإذا كان تحرير دلالة المفردة القرآنية في الفهم التراثي يعتمد على مرتكزات لغوية ومسلمات عرفية تستند لأصول تراثية بجانب مقررات العقل وما يمليه من ممارسات تأويلية لها وجه من اللغة معتبر، فإن القراءة في الفكر العلماني تستعين بمنهج غربي تأويلي (الهيرمينوطيقا) يصطدم في مقوماته وأدواته التحليلية مع خصوصية النص القرآني ومقاصده التشريعية .

_ وإذا كان الفهم التراثي يحفظ لكتاب الله عز وجل قداسته، فنجد في القراءات الحداثية هؤلاء المتبارين في نزع القداسة عن النص القرآني، بالنظر إليه على أنه منتج ثقافي بشري كأي نص أدبي يخضع لمطارق التحليل الأدبي النقدي .

_ وإذا كان من أصحاب الفهم التفسيري التراثي يعتمد على أسس ومرتكزات المنهج اللغوي المنضبط في التفسير من حيث الاعتداد بالمسلك المعجمي، والأخذ في الاعتبار خصوصية السياق القرآني، ومراعاة الطبيعة الاشتقاقية التي تتميز بها اللغة، وسبر مساقات الورود، ومراعاة الاحتمال الدلالي الذي تفرزه معطيات النص المقالية والمقامية، ومراعاة قيود التوارد، وقبل ذلك الأخذ في الاعتبار مقاصد التشريع الإسلامي عند توجيه دلالة المفردة القرآنية فإن

القراءة الحداثية انحرفت بتلك المسالك اللغوية انحرافا يخرجها عن وجهها القياسي، فأهدرت الدلالة المعجمية للكلمة، ولم تلق بالا لخصوصية الخطاب القرآني، وقطعت الصلة بين النص وقائله، وفرقت المتماثلات إلى أشطار مختلفة، وحملت الدلالات الشرعية على غير اصطلاحاتها القرآنية العرفية وأنزلتها على مسميات حادثة ومعان ماركسية محملة بفكر أيدولوجي مسبق .

_ وإذا كان تعدد أوجه القراءة الواحدة - وما يتبعها من أثر دلالي معجز - معولا رئيسا في التفسير وتوجيه دلالة المفردة القرآنية باعتداد هذه المرجعيات قرائن سياقية في الممارسة الفهم التراثي، فإنها عدت في القراءة الحداثية مرجعية انطلقوا من خلالها للتشكيك في صحة نقل النص القرآني، مفرقين بين الوحي المنزل الشفهي وبين المكتوب في المصحف الذي طاله التحريف .

_ وإذا كان سياق المقاصد أو سياق التنزيل من القرائن المقامية لتوجيه دلالة المفردة القرآنية، والوقوف على مراد الشارع في التفسير التراثي فإنها أضحت معول هدم في القراءة العلمانية ؛ إذ قصروا من خلالها أحكام التشريع على زمن نزولها، مقوضين من خلال ذلك السلطة التشريعية في الأحكام والعبادات.

_ وإذا كان النص القرآني في الفهم التراثي كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فإن النص القرآني في القراءة الحداثية نص كأي نص بشري، يخضع لما تخضع له المنتجات الثقافية البشرية من مناهج تحليلية تدعو إلى موت المؤلف، وتعطي الحرية المطلقة للقارئ في استكناه مغزى النص .

_ وإذا كان المعنى المستنبط في التأويل التراثي يوجه وفق مراد الله، والمقاصد التشريعية والتنزيلية هي محور فهم دلالة المفردة القرآنية، فإن القراءة الحداثية تتمخض عن قراءات متعددة ومتجددة بتعدد قارئ النص وثقافة عصره المتجددة، فالفهم فيها قائم على تعمد الفصل بين النص وقائله، وإحلال القاريء محله .

_ وإذا كان التفسير في التراث قائما على علوم القرآن والأصول الفقهية والبلاغة التعبيرية واللسان العربي والمقاصد التشريعية لتقريب فهم المفردة

القرآنية من مراد الله عز وجل وفق المنهج النبوي الذي سار عليه الرعيل الأول من الصحابة والسلف الصالح، فإن المشروع الإقرائي الحداثي يقوم على المفاهيم المادية والجدلية والفلسفية التي نضحت بها الماركسية والهيرمينوطيقا، وهي مناهج تصطدم مع الوحي الغيبي وتنكره

_ وإذا كان النص نفسه هو مدار التأويل التراثي منه المنطلق وإليه المآب، فإن النظرة العلمية الصرفة والمناهج التفسيرية النقدية المادية في التأويل الحداثي هي المهيمنة على النص القرآني، والمتكأ الرئيس في فهم وتوجيه وتصديق مضامين دلالة المفردة القرآنية.

_ وإذا كان العقل في التفسير التراثي قائما على تحديد الدلالة وفق مرجعية لغوية عرفية منضبطة، فإن العقل في القراءة الحداثية منفتح على جميع التأويلات ولامحدودية المعنى وفق إسقاط فهم القاريء المتحرر، وإشباعا لنزعاته ورغباته الشخصية .

_ وإذا كان مفسرو التراث وعلماء الشريعة قد نظّروا قواعد تضبط عملية التأويل وتقيه من الوقوع في الزلل والانحراف الدلالي فإن القراءة الحداثية قائمة على تعدد القراءات وعدم الثقة في القراءة الواحدة من خلال إعطاء القاريء الحرية المطلقة في فهم وتوجيه وتوليد أكثر من دلالة للنص تبعد كل البعد عن قصد قائل النص .

_ وإذا كان الأصل في التفسير التراثي هو إبقاء النصوص على ظاهرها، ولا يصرف اللفظ عن هذا الظاهر إلا لقرينة معتبرة من شرع أو لغة أو عرف، فإن الأصل في القراءة الحداثية هو التعدد الإقرائي وقدرة القاريء على إعطاء مزيد من المعاني والنظريات التي تتناسب وتوجهه الفكري المعاصر .

_ وإذا كان النص القرآني في التراث الإسلامي ليس مادة للتحري النقدي، فإنه في القراءة الحداثية خاضع لمطارق التحليل الأدبي النقدي، منفتح على جميع التأويلات .

_ وإذا كان مناط التأويل في الفكر التراثي تلك الدلالات التي لم يرد فيها نص قاطع على ثبوتها (المتشابه / المجمل/ المشكل) بغية الوصول إلى دلالة منضبطة

منبثقة عن تضافر قرائن معتبرة فإن كل آي القرآن الكريم محل تأويل في الفكر العلماني .

_ وإذا كانت المضامين الدلالية التي حوت الفرائض والأحكام التشريعية ثابتة في التأويل التراثي فإنها لا تعرف الثبات في التأويل العلماني، بل متعددة بتعدد القراءات، متغيرة بتغير وقائع العصر الزمانية والتاريخية، متحولة بتحول النص من قارئ لآخر .

_ وإذا كان الفهم التراثي قائما على ضوابط منهجية تأويلية خاصة بالطبيعة المعجزة لدلالة المفردة القرآنية وبالعرف اللساني العربي ،فإن القراءة الحداثية استعاضت عن تلك الضوابط المنهجية التراثية - التي بذلت فيها الأنفس - بضوابط فهم غربية .

_ وإذا كان النقل له وجوده واعتباره في العقل الإسلامي فإن القاريء العلماني لا يلقي بالا لأي من مصادر الاحتجاج السماعية مهما بلغت درجتها في صحة النقل .

_ وإذا كان الاحتمال الدلالي وتعددية المعنى في التأويل التراثي يتمثل في تأويل يحدد معنى الآية، أو تأويل يقيد مطلقها، أو تأويل يزيل عنها إشكالها، أو تأويل يجلي سر جمالها، فإنه في القراءة الحداثية مُتَذَرَع به للتأويلات المنحرفة ووضعها في غير نصابها القرآني التشريعي .

_ وإذ كان الترادف السياقي في القرآن الكريم مظهرا من مظاهر التعبير القرآني المعجز في انتقاء اللفظة بدقة حسب مساق ورودها فإنه في الفكر العلمي منهج تشطيري يفرق بين المتماثلات تفريقا يمج عنه النظم القرآني .

_وإذا كان التطور الدلالي ظاهرة لغوية تحدث كانعكاس طبيعي لحياة المجتمع وفق خطوات إجرائية منضبطة، فإنها في التأويل العلماني تدخل في دائرة الانحراف الدلالي، والانتقال العشوائي الذي يجر إلى سوء الفهم، وفساد التأويل، وانحراف القصد، وإهدار الدلالة المعجمية للفظ .

---

## المطلب الثالث

## محاولة التأصيل لمنهج فهم تفسيري تجديدي منضبط

في السطور التالية يحاول البحث التأصيل لمنهج فهم تفسيري يجمع بين الفهم التفسيري التراثي والحداثي، وفي سبيل الوصول إلى ذلك يسلط البحث الضوء على أهم دعائم التأويلية العلمانية التي تصطدم في مسارها مع طبيعة النص القرآني الكريم ،وتجعلها غير قابلة للتطبيق على تفهم المفردة القرآنية كـ:

- فهم النص وتفسيره ومقاربته بعيدا عن قصد الشارع .
- الانفتاح الدلالي ولا محدودية المعنى .
- قصر مضامين المفردة القرآنية على زمن ومكان نزولها .
- تحرير دلالة المفردة القرآنية بعيدا عن موارد استعمالها القرآني الخاص .
- عدم وجود مرجعية (شرعية/لغوية/عرفية/عقدية) صحيحة منضبطة ترتد إليها الممارسة الإقرائية الحداثية .
- إهدار دلالة المفردة القرآنية المعجمية، والانحراف بها دلاليا تحت مسمى التطور الدلالي، أو التذرع بباب المجاز .
- تسلط العقل المتحرر من أية سلطة على الممارسة الإقرائية الحداثية فهما واستنباطا وتوجيها واستدلالا، والتنكر لأي احتجاج سماعي مهمها بلغت درجته من الصحة النقلية .
- تحليل النص القرآني تحليلا أدبيا وسيميائيا كأي نص بشري .
- إنكار المضامين الغيبية، واعتبارها من قبيل القص التاريخي والأسطوري والتصورات الذهنية .
- تنزيل معاني الآيات القرآنية على مصطلحات حداثية تنبو عنها، تحت مسمى ربط النص بالواقع .

بالنظر في هذه الدعائم التي يقيم عليها المؤول العلماني تأويله، والتي اتسمت بها النماذج التأويلية لدلالة المفردات القرآنية السابقة يتبين أن

الهيرمينوطيقا لا تستقيم وحدها منهجا تأويلا للنص القرآني، وفي سبيل محاولة الجمع بين فهم يهتم بإسقاط الواقع المتغير على النص القرآني بشكل ملفت(القراءة الحداثية) وبين فهم له مركزية ومرجعية منضبطة (الفهم التراثي) لحل مشاكل واقع المسلم المعاصر بقراءة واعية تخرج النص من دائرة الفهم الموروث إلى دائرة الممارسة العصرية، ومن موقف إهدار الدلالات المعجمية والسياقية وتنزيلها على مصطلحات حادثة تنبو عنها إلى موقف التفعيل لها بما يتوافق مع مقاصد التنزيل أن تتم عملية القراءة والتفسير والمقاربة وفق الضوابط التالية:

- التزود بفنون اللغة وعلومها، والارتياض على أساليبها المختلفة في مناحي القول.
- تعهد سنن العربي في محاوراته ومجاري مخاطباته الأسلوبية والتعبيرية .
- إدراك مقاصد القرآن التشريعية وأسباب نزوله، وإسقاطها إسقاطا منضبطا بواقع المسلم المعاصر .
- الإلمام بقواعد الاجتهاد الأصولية التراثية فيما لم يرد فيه نص قاطع الدلالة .
- ضرورة الارتداد إلى مرجعية منضبطة مستقاة من البيئة العربية التي نزل القرآن فيها وبلسانها، حتى تحكم عملية الفهم والمقاربة من الشطط والانحراف الدلالي .
- الجمع بين إبداع القاريء مع مراعاة مراد الشارع ومقاصد التنزيل، فالمقاصد مغيبة، والمعنى مستتر وراء حروف النص، ويأتي دور القاريء هنا في استكناه المضمر والمحذوف والمقدم والمؤخر والموجز واستنطاق معطيات النص المقامية والمقالية ليخرج من صمته الكثير من ظلال المعنى في ظل مقاصد التشريع ومراد الشارع الحكيم .
- قراءة القرآن الكريم قراءة تاريخية موصولة كما في الفهم التراثي، لا قراءة تاريخية مفصولة كما هو الحال في القراءة الحداثية، وفرق شاسع بين هذه وتلك، فالفهم التراثي استعان بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ كقرائن سياقية مقامية تعين على تحديد مراد الشارع، وتخصيص عمومات الألفاظ، والقطع بعدم الاحتمال أما القراءة التاريخية العلمانية عولت على هذه القرائن المقامية

في تقويض سلطة التشريع الإسلامي، وإحالة آيات الأحكام في الفرائض والعبادات إلى توصيات وعظية وأخلاقية غير ملزمة .

- ضرورة التفريق بين قضيتي تعددية المعنى القرآني (الاحتمال الدلالي) والانفتاح الدلالي ولا نهائية المعنى، فلغة القرآن الكريم المعجزة تتميز بقدرتها الدلالية التعبيرية - في استيعاب المعنى المتجدد من دون تنكر لمراد الشارع الحكيم ومقاصد التنزيل - التي تقتضي العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز، والإجمال والتفصيل والإظهار والإضمار، والتكرار والحذف والتقديم والتأخير والاشتراك اللفظي، ومخاطبة الواحد مراد به الجماعة والعكس، .. وغيرها من السمات التعبيرية الخاصة بالنظم القرآني، بالإضافة إلى النص القرآني كونه نصا ربانيا نزل على سبعة أحرف يحمل وجوها دلالية متعددة.

- إعمال العقل في تفسير دلالة المفردة القرآنية يجب أن يأتلف مع معطيات النص وطبيعته الخاصة، ويتوافق مع مقاصد التنزيل، وقوانين اللسان العربي ومعهود خطاب العرب، والعلم بالقرائن والأحوال والشواهد التي تعزز القصد التشريعي، كل هذه الاحترازات تكسب الدلالة المؤولة عن طريق الاستنباط العقلي الثقة والانضباط من الجهة اللغوية .

---

## الخاتمة

**وختاما ...** وقفت هذه الدراسة التحليلية النقدية على القراءات الحداثية للنص القرآني لأصحاب التيار العلماني انطلاقا من بعض المقومات التأويلية والمرتكزات اللغوية التي اتكأوا عليها في الفهم والتحليل والمقاربة، وخلصت إلى النتائج التالية:

_أن القراءة العلمانية للنص الديني ركبت مركب التأويل البعيد المستكره بانحرافها الدلالي لمعاني المفردة القرآنية، وذلك من أجل استجلاب القيم الغربية الحداثية إلى مضامين المفردة القرآنية .

_أن القراءة الحداثية تذرعت ببعض المسالك اللغوية (الترادف- التطور الدلالي- الاحتمال الدلالي) لإضفاء طابع المصداقية والشرعية على ممارستها التفسيرية .

_ أن الممارسة الإقرائية الحداثية توسعت في المجاز بشكل فج يمج عنه النظم القرآني؛ حيث صرفت اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر من دون وجود قرينة صحيحة تسوغ هذا الصرف، فأفرغت دلالة المفردة القرآنية من معانيها الإيمانية، وانحرفت بدلالتها إلى معان تتساوق وقوالبهم الماركسية .

_ أن القراءة الحداثية أهدر ت دلالة السياق القرآني وحولته إلى رموز وشفرات عصية على الفهم من خلال ربط النص بواقعه، وتفسيره بخصوص أسبابه لا بعموم ألفاظه، ومن ثم الانحراف بدلالة المفردة القرآنية عن غير مراد الله عز وجل، وصبغها بالصبغة العصرية البعيدة كل البعد عن القصد التشريعي .

_ أن الفهم الشحرورين طبق المنهج التشطيري في تفسير دلالة المفردات القرآنية المترادفة، وهو مسلك لغوي شاذ، يجعل المعنى العام المشترك الذي تدل عليه الألفاظ المترادفة أشطارا عدة، وتقسيمات متباينة، ينفرد كل شطر منها بلفظ واحد، ويصرفه عن الدلالة العامة المحورية التي تجمع هذه المترادفات، زاعما أن مرجعيته آراء بعض القدامى التي تذهب إلى القول بإنكار الترادف في اللغة .

_أن الفهم اليزيدي والأركوني والشحروري أهدر الدلالة المعجمية للمفردة القرآنية: حيث دأب هؤلاء على أن لا يلقوا بالا بالدلالة المعجمية عند تحرير دلالة المفردة القرآنية، فالكلمة في مذهبهم الماركسي دائمة التطور، والمستجدات العلمية والحضارية ضرورة ملزمة لهلاك دلالة اللفظ الأصلية .

_ أن القراءة الحداثية غضت الطرف عما يمليه فحوى الخطاب القرآني ،ولم تكترث بخصوصية السياق القرآني من سمات تعبيرية وقصدية شرعية .

_ أن الممارسة الإقرائية الحداثية أخضعت تفسير دلالة المفردة القرآنية لمناهج تحليل الفلسفة المادية، وأنزلتها على مصطلحات فلسفية حادثة تنبو عنها، فلم تكترث بالقواعد الأصولية الضابطة لتفسير دلالة المفردة القرآنية " كما جاءت محررة مهذبة في كتب اللغة والأصول وعلوم القرآن، وإنما يضرب عنها صفحا ... لاهثا وراء مقولات الفكر الماركسي المادي، وطالبا ودها على حساب المعاني القرآنية الأصيلة، ودلالات الوحي الهادية"[1] .

_ أن القراءة الحداثية لا تبحث عن قرينة صحيحة معتبرة لصرف اللفظ عن ظاهره ولكنها منفتحة على جميع التأويلات التي تبتعد كل البعد عن قصد الشارع ومراده، لم ترع الضوابط والقواعد التراثية المؤصلة لتأويل دلالة المفردة القرآنية، تمَارَس وفق مناهج غربية وفكر فلسفي جدلي مادي، نزعت عن النص قداسته وحررته من أي سلطة تضبط جموح الممارسات التأويلية عدا سلطة القاريء وهواه ورغباته، قراءة دعت إلى التنصل من كل ماله علاقة بالتراث تحت مسمى التجديد ومواكبة العصر، وسلكت مسالك لغوية – في غير موضعها - حرفت دلالة المفردة القرآنية عن معانيها وأنزلتها على مصطلحات حادثة تحت دعوى التحضر والحداثة والعولمة .

ومن هنا يوصي البحث بعدم الانسياق وراء هذه الدعوات التجديدية التفكيكية المفصولة عن التراث - فالنص القرآني عندما يتنزل على الواقع لابد أن يتم هذا الإسقاط بشكل صحيح ومنضبط - والبحث بدلا من ذلك عن قراءة حداثية مبدعة، قراءة تاريخية موصولة بالتراث تعتمد روح الحداثة وتلبي حاجات المسلم المعاصر، تخرج النص من موقف إهدار دلالة المفردة القرآنية المعجمية والسياقية إلى موقف التفعيل لها .

---

(١) النص القرآني من أفق القراءة إلى أفق التدبر : ٣١٩ .

## المصادر والمراجع

_الإسلام، أروبا، الغرب(رهانات المعنى وإرادات الهيمنة) لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي – بيروت، ط: (٢)، ٢٠٠١م .

_ إشكاليات القراءة وآليات التأويل لنصر حامد أبي زيد ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط: (١)، ٢٠١٤م

_الأضداد، أبو بكر ابن الأنباري تح/ محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م .

_البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، عناية/ صدقي محمدجميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م.

_تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون، ترجمة / هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي المغربي، ط: (٢)، ١٩٩٦م .

_تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) تح/عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

_تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس(ت: ٦٨هـ) جمعه/ مجد الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى( ت: ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية، لبنان.

_تهذيب اللغة، للأزهري(ت:٣٧٠هـ)تح/محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١م.

_جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

_الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح/ أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م.

_جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي(ت: ٣٢١هـ)تح/رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الأولى ١٩٨٧م.

_الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي انموذجا – دراسة نقدية لإيمان الغزاوي، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد:٤٣، ع: (١)، ٢٠١٦.

_الخلفيات الفكرية والاستراتيجيات المعرفية لـ: د/علي بودربالة، مجلة المدونة ،المجلد: ٦ ،العدد: ١، ٢٠١٩م .

_الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري (٣٩٣هـ) تح/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

_ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) تح/ د:مهدي المخزومي، د:إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

_ غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي(١٩٨ – ٢٨٥هـ) تح/ سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.

_الفكر الإسلامي نقد واجتهاد لأركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط: (٦)، ٢٠١٢م .

_ الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون، ترجمة / هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي المغربي، ط: (٢)، ١٩٩٦م .

_الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي) لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح دار الساقي ،- بيروت ، ط: (١)، ١٩٩٩م .

_القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لمحمد أركون: ٥، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط (٢): (٢٠٠٥) .

_قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟) لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة ،- بيروت .

_ الكتاب والقرآن د. م/ محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د. ط، د.ت .

_ لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

_مدخل إلى علم اللسانيات لـ: د/محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة، لبنان ٠ ط: (١)، ٢٠٠٤م .

_ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت: ٣١١هـ) تح/عبد الجليل شلبي ،عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

_المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) د/ محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى ٢٠١٠م.

_المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

_مفهوم الحرية لعبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط: (٥) ،١٩٩٣م .

_مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: د/نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء – المغرب

_مقاييس اللغة لابن فارس(ت: ٣٩٥هـ) تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

_من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي لأركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ط(١) ١٩٩١م

_منهج نصر حامد أبي زيد في قراءة النص الديني، كريمة محمد كريبة ،المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية المجلد: ٧، ع: (١)، ٢٠١٧.

_ النص، السلطة، الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة )لـ: د/حامد أبي زيد: ١٤٣، المركز الثقافي العربي، ط: (١)، ١٩٩٥ م .

_ النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر لـ: د/قطب الريسوني، شؤون وزارة الأوقاف المغربية ٢٠١٠م .

_ النص في القرآن بين تأويل القدامى والمحدثين دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات اللغوية من الباحث: نجادي بو عمامه لكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، ٢٠١٤م) .

_ نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبي زيد الأنصاري، سينا للنشر، القاهرة، ط: (٢)، ١٩٩٤ .

- الهرمونوطيقا ودورها في تأويل النص الديني دراسة تحليلية نقدية د/ زهراء علي دخيل، مجلة جامعة المعارف، ع: (٧) .

---

## فهرس الموضوعات

ملخص البحث:..... ٣٤٧٩
مقدّمة..... ٣٤٨٣
حدود البحث:..... ٣٤٨٤
افتراضيات البحث:..... ٣٤٨٤
أهداف البحث:..... ٣٤٨٥
الدراسات السابقة:..... ٣٤٨٦
خطة البحث:..... ٣٤٨٨
تمهيد: التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا) تعريفها- مقوماتها- مناهجها- مناطها - شروط المؤول الحداثي..... ٣٤٨٩
التأويلية الحديثة (الهرمينوطيقا)..... ٣٤٩١
تحول الهيرمنوطيقا من علم لاهوتي إلى منهج تحليلي أدبي..... ٣٤٩٢
الأسباب الداعية إلى ظهور التأويلية الحديثة (الهرمنيوطيقا)..... ٣٤٩٣
مقومات المنهج التأويلي الحداثي..... ٣٤٩٣
المناهج التي قامت عليها القراءة العلمانية (مصادر تلقي القراءة الحداثية للنص القرآني) ..... ٣٤٩٥
أولا: المنهج التاريخي:..... ٣٤٩٦
ثانيا: المنهج البنيوي (البنيوية)..... ٣٤٩٧
ثالثا: المنهج التفكيكي:..... ٣٤٩٨
شروط المؤول لدلالة المفردة القرآنية من المنظور العلماني..... ٣٥٠١
مناط التأويل الحداثي..... ٣٥٠٢
المبحث الأول: القراءات الحداثية عرض ونقد..... ٣٥٠٤
المطلب الأول: نصر حامد الأنصاري وقراءة النص الديني..... ٣٥٠٤
المطلب الثاني: أركون وقراءة النص الديني..... ٣٥١٠
المطلب الثالث: محمد شحرور وقراءة النص الديني..... ٣٥١٩
المسالك اللغوية التي عول عليها شحرور عند تأويله لدلالة المفردة القرآنية ٣٥١٩
أولا: إنكار الترادف:..... ٣٥١٩
ثانيا: التطور الدلالي:..... ٣٥٢٣

ثالثا: الاحتمال الدلالي للألفاظ..... ٣٥٢٦
المطلب الرابع: نماذج تفسيرية لأصحاب القراءة الحداثية..... ٣٥٢٧
(الحسد):..... ٣٥٢٧
(الإنزال والتنزيل):..... ٣٥٣٠
القرآن والكتاب والفرقان..... ٣٥٣٢
(التسبيح):..... ٣٥٣٥
(الفلق):..... ٣٥٣٧
(القدر ):..... ٣٥٣٩
(الفصل):..... ٣٥٤٠
(اقرأ):..... ٣٥٤٢
المبحث الثاني: قراءة منهجية للفهم التفسيري التراثي والحداثي للنص القرآني ٣٥٤٩
المطلب الأول: سمات المنهج الإقرائي للتيار العلماني حيال النص القرآني ...٣٥٤٩
المطلب الثاني: موازنة منهجية بين القراءتين التراثية والحداثية .....٣٥٥٢
المطلب الثالث: محاولة التأصيل لمنهج فهم تفسيري تجديدي منضبط.٣٥٥٦
الخاتمة..... ٣٥٥٩
المصادر والمراجع..... ٣٥٦١
فهرس الموضوعات..... ٣٥٦٥

---